المجاورون في مكة
وأثرهم في الحياة العلمية
خلال الفترة من (٥٧٠ – ٦٦٠هـ/١١٧٤-١٢٦١م).

إعداد

د. عبد العزيز بن راشد السنيدي

أستاذ مشارك، قسم التاريخ

كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية

جامعة القصيم

بحث مقدم إلى ندوة

مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ

مقدمـــة :

لا يفتر المسلم في أصقاع المعمورة يرنوا ببصره إلى مكة ومعالمها، راغباً أداء الركن الخامس من أركان دينه، وتائقاً لرؤية منزل الوحي وموطن النشأة والبعثة، ومتطلعاً – في الوقت نفسه – إلى قضاء حقبة من عمره بين ربوعها، ملتمساً ما خصص لأهل مكة وقصّادها ومن ثوى فيها من الأجر العظيم، والثواب المضاعف. ولتحقيق هذه الأهداف ونيل تلك الأغراض نهض – على مرّ التاريخ الإسلامي – ظاعناً إلى مكة من اتسقت له الأحوال وأسعفته الظروف من أبناء الأمة الإسلامية، فمن هؤلاء من ربط بقاءه بنهاية أداء النسك، ومنهم من مكث فيها فترة من الزمن راغباً بالجوار ومستمتعاً براحة البال، على أن يرحل منها بعد تحقيق الأهداف التي بقي من أجلها، بيد أن فئة ثالثة من أولئك القادمين قد راموا الاستقرار الدائم فيها ليختموا حياتهم الدنيا في أقدس البقاع وأطهرها . وعلى الفئتين الأخيرتين أطلق لقب المجاورين .

ولقد شكلت فئة المجاورين – باختلاف أجناسها وتعدد مشاربها وتنوع ثقافاتها – على مرّ العصور التاريخية جزء لا يتجزأ من المجتمع المكي، سيما منهم من أطال البقاء مجاوراً، أو قرر الاستيطان الدائم في مكة، حيث اختلط هؤلاء بأهل مكة الأصليين، فأثر كل طرف على الأخر . كما امتد تأثير المجاورين في مكة – أيضاً – إلى الحياة العامة، سواء منها ما يتعلق بالجوانب السياسية، أوالمناحي الحضارية . ولكن هذا التأثير ارتبط – في الغالب – بالظروف والمؤثرات المحيطة بالمجتمع داخلياً وخارجياً .

وكان حملة العلم – سواء كانوا من العلماء أو الطلاب – من أبرز من رام – خلال عصور التاريخ المختلفة – المجاورة في مكة، حيث وعى هؤلاء أكثر من غيرهم فضل المجاورة وقيمتها، كما أدركوا أهميتها التي لا تداني في حياتهم العملية، وأثرها في توسيع ثقافاتهم، فهي تتيح من الروافد العلمية المتنوعة والمناهل الأصيلة المتعددة – والتي لا تتوفر إلا في مكة – ما يكفل لهم قسطاً وافراً من العلوم والمعارف المختلفة، كما تهوّن عليهم – في ظل تواجد الكثير من علماء الأمصار سنوياً – الكثير من العناء الذي تتطلبه الرحلة العلمية في سبيل طلب العلم ولقاء العلماء المبرزين هنا وهناك .

بيّد أن هذا الشغف الذي استولى على قلوب الكثير من أبناء المسلمين قد حالت في بعض الحقب التاريخية دون تحقيقه الكثير من العوائق والعقبات التي تمثلت في تخلخل أحوال مكة الداخلية المختلفة، أو تدهور الأمن على الطرق المؤدية إليها، أو عدم استقرار الأوضاع العامة في بعض بلدان العالم الإسلامي . وفي المقابل فقد كان تغيّر هذه الأحوال وتبدل تلك الأوضاع في الأصقاع المذكورة إلى الأحسن سبباً أسهم – بطريق أو بأخر - في تزايد أعداد المجاورين في مكة .

ولقد لفت نظري – وأنا أقلب صفحات بعض المصادر التي عنيت بالتاريخ المكي، وأتأمل في سير بعض العلماء المسلمين – تزايد أعداد المجاورين في مكة من منسوبي العلم خلال الفترة التاريخية التي أعقبت سقوط الدولة العبيدية (الفاطمية)، وواكبت قيام الدولة الأيوبية على يد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م تزايداً فاق كثيراً بعدده من أتى

للمجاورة في الفترة السابقة لهذا التاريخ، كما رافق ذلك التزايد مشاركة علمية فاعلة لهؤلاء المجاورين في مكة بعد أن أسهموا بنصيب وافر في دفع عجلة التعليم فيها، فأَثْرَت هذه الفئة بحضورها العلمي القوي العديد من الميادين العلمية بعد أن قلّت مناشطها كثيراً في مكة منذ القرن الرابع الهجري، وبالتحديد عقب أن تعرضت هذه المدينة المقدسة لهجوم القرامطة سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م، ثم بعد أن أصبحت – فيما بعد – فريسة للصراع الدامي والتنافس الحاد عليها بين العباسيين والعبيديين عقب انتقال حكم الأخيرين إلى مصر سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م . من جانب أخر فقد غدت جهود المجاورين الثرة حينذاك مرتكزاً مهماً وأساساً قوياً اتكأت عليه الحياة العلمية التي ازدهرت في مكة إبان العصر المملوكي . ومن هذا المنطلق، ورغبة مني في الوصول إلى إجابة شافية تتقصى حقيقة دور المجاورين وأثرهم العلمي في مكة آنذاك، فقد رأيت أن أتناول بالبحث هذا الموضوع خلال الفترة من ٥٧٠ -٦٦٠هـ/١١٧٤- ١٢٦١م، وهي الفترة الممتدة من قيام الدولة الأيوبية حتى بدء النفوذ المملوكي الفعلي في مكة تقريباً .

وقد حاولت قدر وسعي استقصاء جوانب الموضوع ولمّ شعثه من خلال تتبع وجمع ما تناثر حوله من معلومات في المصادر المختلفة، وجاءت خطة البحث – وفق ما اقتضته طبيعة الدراسة، مع ما تيسر لي من مادة علمية – على النحو التالي ؛ استفتحت الدراسة بمدخل – جاء بعد هذه المقدمة – بيّنت فيه التعريف اللغوي للمجاورة، المقصود بها، وشيئاً من تاريخها، مع موقف العلماء منها . ثم تحدثت بعد ذلك عن أسباب المجاورة

ودوافعها آنذاك، سواء كانت تلك الأسباب متعلقة بالمجاورين أنفسهم، أو بالمجتمع المحيط بهم . ثم ذكرت عقب ذلك – ووفق عملية إحصائية تقريبية مقارنة – الأمصار التي قدم منها المجاورون . بعدها استعرضت ما جاء في المصادر عن مدة المجاورة التي قضاها أكثر منسوبي العلم في مكة حينذاك . ثم بيّنت الوظائف الدينية والتعليمية التي تقلدها المجاورون في مكة مع بيان دورهم المؤثر فيها . بعد ذلك استعرضت مذاهب المجاورين الدينية . وأعقبتها بحديث موسع عن اهتمامات المجاورين ونشاطاتهم العلمية المختلفة في مكة خلال فترة للدراسة . وأتبعت ذلك بالحديث عن دور المجاورين في تنمية المكتبات العامة والخاصة في مكة ؛ سواء كان ذلك عن طريق التصنيف والتأليف، أو بإيقاف الكتب على المكتبات العامة، أو العمل على إنشاء مكتبات خاصة بهم، أو دعم الأسواق المكية بما تحتاجه من الكتب عن طريق أعمال الوراقة المختلفة . ثم أتت بعد ذلك الخاتمة لتوضح عدداً من النتائج التي توصل إليها البحث . وأخير أوردت قائمة حوت المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة .

وقد قمت خلال هذا البحث بالاستناد على النصوص الواردة في المصادر لإثبات الكثير من المعلومات والحقائق التي ذهبت إليها، كما حرصت أن اعتمد على منهج الاستنتاج والاستنباط والاستقراء والتحليل كأسلوب في الوصول إلى العديد من النتائج التي جاءت في هذه الدراسة، فضلاً عن ذلك فقد جعلت من العمليات الإحصائية المبنية على النصوص المتوافرة لدي منطلقاً للمقارنة وطريقاً توصلنا من خلاله لجملة من النتائج والمعلومات القيمة .

واحسب أنني قد بذلت ما في الوسع لإخراج هذه الدراسة بما يتوافق مع طموحي وتطلعاتي، ويرضي – في الوقت نفسه – رغبات الدارسين والمهتمين ويروي غليلهم في هذا الجانب. والله أسأل أن يجعل ذلك في ميزان حسناتنا يوم العرض عليه . والحمد لله أولاً وأخراً .

***

مدخـــل :

المجاورة : الجار، هو الذي يجاورك، تقول : جاورته مجاورة وجِوَاراً وجُوَاراً، والكسر أفصح. [1]. وجاوره مجاورة وجوار أي ساكنه ولاصقه في المسكن [2]. واستجاره من فلان فأجاره منه، وأجاره الله من العذاب أنقذه، والمجاورة : الاعتكاف في المسجد [3]. وقال ابن منظور [4]: أما المجاورة بمكة والمدينة فيراد بها المقام مطلقاً غير ملتزم بشرائط الاعتكاف الشرعي .

وتعتبر المجاورة في مكة ظاهرة دينية واجتماعية، اقتضتها قدسية المكان وشرفه وفضيلته، وأملتها رغبة بعض المسلمين من مختلف الفئات قضاء فترة صفاء روحي في رحاب مكة وبجوار البيت الحرام . وهي تمتد وتقصر حسب رغبة المجاور ودوافعه

(1) الجوهري، الصحاح . ط3، دار العلم للملايين، بيروت 1404هـ/1984م، ج2، ص617 "مادة جور" .

(2) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د . ت)، ج1، ص146 .

(3) الجوهري، المصدر السابق، ج2، ص618 "مادة جور" .

(4) لسان العرب، القاهرة، تحقيق، نخبة من العاملين بدار المعارف، القاهرة، دار المعارف، (د . ت)، ج2، ص724 "مادة جور" .

وأهدافه والظروف المحيطة به .

وقد عُرفت المجاورة – كظاهرة اجتماعية في مكة – منذ ظهور الإسلام، وذلك استناداً على ما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة من آيات وأحاديث تفصح عن مكانة مكة الدينية السامقة، وتبين مدى فضلها وقدسيتها [١]. ومن هذا المنطلق فقد شخص إلى مكة عدد كبير من الصحابة راغبين المجاورة فيها [٢]، كما أمّ مكة مع تعاقب الأزمان الكثير التابعين وأتباعهم من السلف الصالح من علماء وعبّاد وزهاد وغيرهم [٣]، مؤثرين قضاء حقبة من حياتهم في صفاء روحي مجاورين بيت الله الحرام .

ورغم هذا وذاك فقد كانت مسألة المجاورة وما يتصل بها من أحكام محل خلاف واسع وجدل بين علماء المسلمين وفقهائهم، ولذا فقد تباينت في ذلك آراؤهم، كما اختلفت وجهات نظرهم حول هذا الموضوع، فكان الإمام أبو حنيفة ومعه طائفة من العلماء يرون كراهية المجاورة في مكة، ويحتجون بذلك من مخافة وقوع الملل لدى الإنسان، ولكي لا يقل احترامه لقدسية الحرم لمداومة الأنس بالمكان، إضافة للخشية من ارتكاب المعاصي والذنوب، فضلاً عن أن في البعد عن مكة تهييج

---

(١) محب الدين الطبري، القرى لقاصد أم القرى، تحقيق، مصطفى السقا، ط٣، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٣هـ/١٩٩٣م، ص٣٣٤ـ٣٤٠، ٦٥٥ـ٦٦٥ ؛ الإسفراييني، زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال، ط١، مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص١٧ـ٣٢، ٦٠ـ٧١ .

(٢) محب الدين الطبري، القرى لقاصد أم القرى، ص٦٦٢ـ٦٦٣ .

(٣) محب الدين الطبري، القرى لقاصد أم القرى، ص٦٦٢ ؛ الإسفراييني، زبدة الأعمال، ص١٤٠ـ١٤١ .

للشوق لها ورغبة في العودة إليها عند البعد والفراق [1]. وليس ذلك الرأي أو التوجه من هؤلاء العلماء إلا مراعاة منهم لضعف الخلق، والخوف من قصورهم في القيام بحق المكان [2].

بيد أن هناك من العلماء من كان على النقيض، حيث رأوا استحباب المجاورة، كما أكّدوا على فضلها، ويأتي في مقدمة من ذهبوا إلى ذلك الإمام أحمد بن حنبل وطائفة أخرى من العلماء، فقد حثوا عليها، بعد أن بينوا فضلها، وأشاروا إلى أن ما يخاف من ذنب، يقابل بما يرجى لمن أحسن تضعيف الثواب [3].

الجدير بالذكر أن المقام بمكة أو المدينة، وهو ما يطلق عليه مصطلح المجاورة، لا يلزم صاحبه بقضاء مدة محدودة فيهما، وليس عليه شروط وأحكام شرعية معينة أو محددة، وإنما على المجاور – كما على غيره من القادمين إلى مكة – الالتزام بما تقتضيه حرمة المكان وشرفه

---

(1) محب الدين الطبري، القرى لقاصد أم القرى، ص٦٦٠-٦٦١ ؛ الإسفراييني، زبدة الأعمال، ص١٦٨-١٦٩ ؛ الخوارزمي، إثارة الترغيب والتشويق إلى المساجد الثلاثة والبيت العتيق، تحقيق، مصطفى محمد حسين الذهبي، ط١، مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ج١، ص٢٨٠-٢٨١ .

(2) جمال الدين الطبري، التشويق إلى البيت العتيق، تحقيق، محمد حسن إسماعيل، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص٢٢٥ .

(3) محب الدين الطبري، القرى لقاصد أم القرى، ص٦٦٠-٦٦١ . وقال جمال الدين الطبري - بعد أن ذكر الأقوال المختلفة للعلماء حول هذا الجانب : " وبالجملة فجوار مكة إذا كان على الوجه الذي ينبغي مما يتقرب به إلى الله تعالى بها من أجله، فإنه حلول بحضرة الله، واتصاف بجوار جلاله، وملازمة لفناء بيته وعكوف بساحة أفضاله " . (التشويق إلى البيت العتيق، ص٢٢٥) .

من التحلي بآداب الإسلام وأخلاقه [(١)].

أسباب المجاورة ودوافعها .

يتبادر إلى الذهن ونحن نرى تكاثر العلماء وطلاب العلم المجاورين في مكة وتزايد أعدادهم، مع اختلاف انتماءاتهم، وتباين مشاربهم الثقافية، خلال الفترة التاريخية التي تتناولها الدراسة، والممتدة من ٥٧٠ – ٦٦٠هـ/١١٧٤ـ١٢٦١م، بعض الأسئلة والاستفسارات التي تحتاج إلى إجابة شافية، تفصح عن كنهها، وتيسر فهمها، وتهدي إلى حقيقتها . وتتمحور هذه التساؤلات في ما يلي : ما هي الأسباب الكامنة وراء رغبة الكثير من العلماء والطلاب في المجاورة في مكة آنذاك ؟ وما الأهداف والدوافع المحركة لهم إبان هذه الحقبة التاريخية بصفة خاصة؟ وما سرّ التزايد الملحوظ في أعداد العلماء والطلاب المجاورين خلال هذه الفترة التاريخية بالذات [(٢)]؟

ولعلنا من خلال تسليط الضوء على الأوضاع السياسية والحضارية التي سادت عدد من البلدان التي قدم منها المجاورون، والاطلاع على أحوال مكة وأوضاعها الداخلية المختلفة آنذاك، إضافة إلى إنعام النظر في حياة المجاورين الخاصة وما أحاط بها من ظروف وتغيرات، نصل إلى إجابة

---

(١) حسن الوراكلي، المجاورون الأندلسيون (مساهمتهم في تشكيل صورة مكة العالمة)، بحث قدم ضمن ندوة الحج الكبرى لعام ١٤٢٣هـ . وطبعت أبحاث الندوة بعنوان : مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية (بحوث ودراسات) ـ إعداد، أبو بكر أحمد باقادر، ط١، الرياض ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٣٤٥ .

(٢) لقد قمت بعملية حصر سريعة للمجاورين والنزلاء الذين قدموا إلى مكة خلال الفترة الممتدة من ٤٠٠ـ٥٦٩هـ، أي خلال (١٧٠) سنة، فوجدت أن عددهم حوالي (٨٠) شخصاً، أي ما يقارب نصف عدد من جاءوا إليها في الفترة التي نتحدث عنها في بحثنا، والتي لا تزيد عن (٩٠) سنة فقط .

مقنعة وشافية تساعد في معرفة الكثير من الأهداف، وتسهم في إزاحة الستار عن العديد من الدوافع والأسباب – المباشرة وغير المباشرة – والتي أفسحت المجال لهذه الشريحة ويسرت لها المجيء إلى مكة والمجاورة فيها . ووفق المعطيات والأطر السابقة فإننا سوف ننطلق للبحث في هذه المؤثرات – بإيجاز مركز – من خلال ثلاثة محاور رئيسة ؛ يبين المحور الأول منها مدى تأثير الأوضاع السياسية والحضارية السائدة في العالم الإسلامي، أما المحور الثاني فيفتش في أحوال مكة وأوضاعها المختلفة آنذاك، في حين يستقصي الثالث منها الأمر من خلال البحث في حياة المجاورين وظروفهم الخاصة .

وفي إلقاء نظرة متفحصة على الأوضاع في العالم الإسلامي آنذاك – وهو المحور الأول لحديثنا – نخلص إلى القول بأن أفول الدولة العبيدية (الفاطمية) وزوالها من الخارطة السياسية الإسلامية سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م قد أفسح المجال للدولة العباسية ومنحها الفرصة باستعادة شيئاً من سلطتها وسيادتها – الروحية خاصة – على عدد من الأمصار الإسلامية، بعد أن تخلصت من منافسة العبيديين القوية لها . ولذا فقد تمكن العباسيون حينذاك من فرض سلطتهم المباشرة والمطلقة على بلاد الحرمين الشريفين دون مضايقة أي سلطة أو منافستها، سيما في ظل احترام صلاح الدين الأيوبي – بعد قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م – لسيادة هؤلاء الخلفاء، وعدم المساس أو التدخل في سيادة خلافة المسلمين على المقدسات الإسلامية في الحجاز [(١)].

(١) نجم الدين ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى . تحقيق، فهيم محمد شلتوت، ط١، مكة المكرمة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ج٢، ص٥٥١.

وفي الاطلاع على سير الأحداث في مكة آنذاك دليل واضح على مدى سلطة العباسيين وسيادتهم فيها، فنراهم يعزلون ويولون - خلال ذلك - على إمارتها من الأشراف من يرونه مناسباً لسياستهم ومحققاً لأهدافهم [(١)]، بل أن الشريف قتادة بن إدريس قد سعى جاهداً في محاولة خطب ودّ العباسيين، والتشرف بموافقتهم وتأييدهم لسلطته على مكة عندما طرد الهواشم عن حكمها سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م [(٢)].

من جانب أخر فإن زوال الهيمنة السلجوقية عن الخلافة العباسية بالقضاء على أخر سلاطينها طغرل بك الثالث على يد محمد خوارزم شاه سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م، قد عاد بالخير على هذه الخلافة، حيث ساعدها على التحرر من قبضة السلاجقة، وبالتالي استعادة شيئاً من هيبتها التي فقدت في ظل تعاقب التسلط الخارجي عليها، كما منحها الفرصة - أيضاً - لمدّ نفوذها على بعض الأقاليم المجاورة للعراق [(٣)].

إن هذه التغيرات المختلفة على الخارطة السياسية الإسلامية قد منحت الخلفاء العباسيين مساحة أوسع للتحرك الجاد في سبيل إنعاش

---

(١) ابن جبير، الرحلة، بيروت، دار بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص٧٣، ٨٠ ؛ الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام. تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج٢، ص٣١٤-٣١٥، ٣٦٨-٣٦٩ ؛ نجم الدين ابن فهد، إتحاف الورى، ج٢، ص٥٣٥ وما بعدها ؛ السنجاري، منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، تحقيق، جميل بن عبد الله المصري. ط١، مكة المكرمة، مركز إحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج٢، ص٢٥٦-٢٦٦.

(٢) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، تحقيق، خليل شحاته. ط١، بيروت، دار الفكر ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج٤، ص١٣٥.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ. ط٤، بيروت، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج٩، ص٢٣٠-٢٣٢.

مناحي الحياة المختلفة في دولتهم، وتحقيق الأمن والرخاء لأتباعها، وفي سبيل ذلك عمل الخلفاء على تطوير الكثير من الجوانب الحضارية في البلاد، فنشط لذلك اقتصادها، وتنامى الدخل المادي للسكان، كما زاد الاهتمام بالعلم، وحرص رجال الدولة على تشجيعه ودعمه، فانتعشت الحياة العلمية في بغداد وغيرها من المدن العراقية (١).

وكان لهذه التغيرات السياسية والحضارية المختلفة التي طرأت على الخلافة العباسية أثرها في خلق أجواء مناسبة لمجاورة الكثير من أبناء العراق في مكة آنذاك، سيما وقد تحققت لهؤلاء السبل المساعدة على ذلك، مثل توفر الإمكانات المادية المعينة على تحمل السفر والإقامة، واستقرار الوضع للعباسيين في بلاد الحجاز، واستتباب الأمن على الطرق التي تصل العراق ببلاد الحجاز، مع تزويدها – من قبل بعض الخلفاء ومحبي الخير – بالخدمات الضرورية للمسافرين (٢).

أما المشرق الإسلامي فقد عايشت بلدانه المختلفة – إبان الفترة التي نتحدث عنها - فترتين متناقضتين كانتا سبباً – من وجهة نظرنا – في مجيء كثير من علماء هذه البلاد وطلاب العلم المشارقة

(١) ابن جبير، الرحلة، ص١٩٣ـ٢١٢ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٢٩، ٣٦١ـ٣٦٢ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية . تحقيق، أحمد أبو ملحم ورفاقه . ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج١٣، ص٧، ٢١، ٥٦، ١١٥ـ١١٦، ١٢٢ـ١٢٣، ١٥٠، ١٧٠ـ١٧١ ؛ عبد الجبار ناجي وآخرون، الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب ٢٠٠٣م، ص٤٥١ـ٤٦٤ .

(٢) حول أمن الطرق وتزويدها بالخدمات، انظر ـ على سبيل المثال ؛ ابن جبير، الرحلة، ص١٦٠ وما بعدها ؛ الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطرق مكة المعظمة . تحقيق، حمد الجاسر، ط١، الرياض، دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج١، ص٥٧٠ـ٦٠١ .

إلى مكة ومجاورتهم فيها ؛ الفترة الأولى وهي التي سبقت الهجوم المغولي، وقد شهدت هذه الحقبة التاريخية استقراراً ملحوظاً في الأوضاع الداخلية لمعظم أقاليم المشرق الإسلامي، سيما بعد أن نجح الخوارزميون في توحيد المنطقة، عقب تمكن السلطان الخوارزمي تكش (٥٦٧ – ٥٩٦هـ/١١٧١ـ١١٩٩م) من القضاء على السلطة السلجوقية في المشرق الإسلامي، ثم قيام ابنه محمد خوارزم شاه (٥٩٦ـ٦١٧هـ/١١٩٩ـ١٢٢٠م) بإنهاء حكم الغوريين أيضاً [(١)]. كما تزايدت – في الوقت نفسه – الاهتمامات العلمية، وتنامت لدى عدد كبير من أبناء هذه الأقاليم، في ظل اهتمام السلطان محمد خوارزم شاه بالعلم، وعنايته بالعلماء، والحرص على تقريبهم [(٢)]. وقد نتج عن ذلك كله – بلا شك – مزيد من الرغبة في طلب العلم لدى العلماء والطلاب المشارقة – على حد سواء، فتحرك عدد منهم صوب الغرب ناشدين مزيد من العلم على يد مشاهير العلماء هناك، ومن هؤلاء من جاور في مكة برهة من الزمن لهذا الغرض، أو آثر الاستقرار الدائم فيها – كما سنرى.

ومن جانب أخر فإن ما تعرضت له بلدان المشرق الإسلامي من هجوم مغولي شرس بقيادة جنكيز خان في سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م وما

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٣٠، ٢٩٤ .

(٢) المصدر نفسه، ج٩، ص٣٣٤ . وهذا ما نلحظه ـ أيضاً ـ جلياً في كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي حيث يصور لنا الحياة العلمية في معظم بلدان المشرق الإسلامي تصويراً دقيقاً، وذلك من خلال مشاهداته الميدانية حيث كان في جولة هناك قبيل هجوم المغول عليها .

بعدها، وما ألحقه هؤلاء بالبلاد والعباد من أضرار وتدمير وخراب (١)، قد دفع عدداً كبيراً ممن فروا من بلادهم صوب مكة والاستقرار فيها، بعد أن تعذر عليهم الرجوع مرة أخرى للمشرق .

وكان لجهود السلطان صلاح الدين الأيوبي الإصلاحية المتعددة في المجالين السياسي والحضاري بعد إقامة دولته في مصر والشام سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م أثر في استقرار المنطقة، وتطور الكثير من الجوانب الحضارية فيها، سيما الحياة العلمية التي عُني بها صلاح الدين أتم عناية، بعد أن قرب العلماء وطلاب العلم وشجعهم، وافتتح الكثير من المنشآت العلمية التي تخدم منسوبيه في المناطق التابعة لحكمه (٢). وكان من الطبيعي – في ظل هذه الظروف – أن يتكاثر المقبلون على العلم في مصر والشام، وتتنامى لديهم الرغبة في مواصلة الطلب، والبحث عن السبل الموصلة لذلك، فكانت الرحلات العلمية الحل الماثل أمام العلماء والطلاب لتحقيق مرادهم، ومكة الخيار الأول لنيل مآربهم وتطلعاتهم، ولذا فقد هب إليها آنذاك – كما سنرى – عدد كبير من المصريين والشاميين، سيما وقد توفر – بجهود صلاح الدين، كما سنذكر لاحقاً - الأمن اللازم على الطرق المؤدية لبلاد الحجاز .

---

(١) انظر حول هذا الموضوع ـ مثلاً ـ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٢٩ـ٣٤٥ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٩٠، ٩٤ـ٩٨، ١٠٢، ١٢، ١١٤ .

(٢) ابن جبير، الرحلة، ص٢٧ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٣١٥ ؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت، دار صادر، (د . ت)، ج٢، ص٣٦٣ ؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة، ط١، بيروت، دار النفائس ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص٢١٢ـ٢١٣ .

والوضع عينه ينطبق على بلاد اليمن، حيث نجحت القوات الأيوبية التي بعثها صلاح الدين الأيوبي إليها بقيادة أخيه تورانشاه سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م في توحيد المنطقة سياسياً بعد القضاء على الكثير من الدويلات المتصارعة عسكرياً وسياسياً ومذهبياً في هذا الإقليم [١]. وقد دأب الأيوبيون – بعد إقرار حكمهم في البلاد – على تشجيع العلم والعلماء، وأقاموا الكثير من مدارس العلم في البلاد، كما عُنوا بحلق التدريس في بعض المساجد . وعلى النهج نفسه سار سلاطين بني رسول الذين خلفوا الأيوبيين سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م على حكم بلاد اليمن [٢]. ولا غرو أن لهذه السياسة التي اتبعها الأيوبيون والرسوليون الأثر في تزايد أعداد المقبلين على طلب العلم من أبناء اليمن، كما أنها ولّدت – أيضاً – رغبة جامحة لدى هؤلاء في رفع رصيدهم المعرفي، فكان الذهاب إلى مكة والمجاورة فيها خير فرصة يجدون فيه ضالتهم التي ينشدونها، خصوصاً وأن الأوضاع السياسية آنذاك كانت خير مشجع لهم، بعد أن نجحت السلطات اليمنية – سواء منها الأيوبية أو الرسولية – في مدّ نفوذها إلى مكة بعد سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م .

(١) ومن هذه الدويلات التي قضى عليها تورانشاه أو أخضعها لسلطة الأيوبيين ؛ دولة بني مهدي، دولة بني زريع، دولة بني حاتم، ودولة الأئمة الزيدية . لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع، انظر (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص١٢٢-١٢٣ ؛ محمد علي مسفر عسيري، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي، ط١، جدة، دار المدني ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٣٨ وما بعدها).

(٢) انظر لمزيد من المعلومات حول هذه الجوانب ؛ إسماعيل بن علي الأكوع، المدارس الإسلامية في اليمن، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، صنعاء، مكتبة الجيل الجديد ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ؛ محمد علي مسفر عسيري، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي ؛ عبد العزيز بن راشد السنيدي، المدارس اليمنية في عصر الدولة الرسولية، ط١، الرياض ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .

وكانت الدولة الموحدية – التي قامت في الشمال الإفريقي سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م، وتمكنت من مدّ نفوذها إلى جزء كبير من بلاد الأندلس [١]، وتمتعت البلاد الخاضعة لسلطتها آنذاك بنوع من الأمن و الاستقرار، كما حرص حكام هذه الدولة على دعم الحركة العلمية وتشجيعها – قد شهدت نهضة علمية شاملة عمت معظم طوائف الشعب [٢]. وقد وجد معظم العلماء والطلاب في ظل هذه الظروف من الرحلة إلى المشرق – والتي شغف بها أهل هذه الأقاليم منذ فترة مبكرة – خير فرصة للجمع بين أداء الركن الخامس من أركان الإسلام وطلب العلم [٣]، ولا غرو فقد حتم عليهم المطلب الثاني المجاورة في مكة فترة من الزمن، تكفل لهم الإلمام بقدر كاف من العلوم والمعارف، ومنهم من فضل – لسبب أو لأخر – الاستقرار الدائم فيها .

من جانب أخر فإن تزايد مضايقات النصارى للمسلمين في الأندلس، وتتابع سقوط المدن المشهورة في هذا الصقع إبان النصف الأول من القرن السابع الهجري في أيديهم، حيث سقطت قرطبة سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٥م، ثم بلنسية سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨م، ثم أشبيلية في سنة

(١) عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط٣، دمشق، دار القلم ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٤٥٥-٤٦٥ ؛ محمد بن إبراهيم أبا الخيل، جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين، ط١، بريدة، دار أصداء المجتمع ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص٤٢-٥٨

(٢) حسن علي حسن، دراسات في تاريخ المغرب العربي، القاهرة، مكتبة الشباب، (د، ت)، ص٢٥٠ ؛ محمد بن إبراهيم أبا الخيل، جهود علماء الأندلس، ص١٢٩-١٣٠ .

(٣) انظر - على سبيل المثال ؛ المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق، إحسان عباس ومحمد بن شريفة، بيروت، دار الثقافة، المغرب، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، (سنوات مختلفة)، س١، ص٣٧٦، س٥، ق١، ص٤١٣، س٥، ق٢، ص٤٧٢-٤٧٣، س٦، ص٤٩٢، ٥٠٦ .

٦٤٦هـ/١٢٤٨م [(١)]، قد دفع – بلا شك – الكثير من العلماء والطلاب لمغادرة هذا الإقليم بلا رجعة [(٢)]، ومن هؤلاء من ثوى في مكة مجاوراً فيها حتى وفاته [(٣)].

وفي التفتيش في أحوال مكة والتنقيب في أوضاعها الداخلية آنذاك – والذي يشكل المحور الثاني من محاور حديثنا عن أسباب ودوافع المجاورة – كشف للعديد من الحوافز ووصول للكثير من المغريات التي هيأت الأجواء العلمية المناسبة، وشجعت مجموعة كبيرة من العلماء وطلاب العلم على القدوم إلى مكة والمجاورة فيها . ويتبادر إلى الذهن – ونحن نبحث في هذا الموضوع – تلك التغيرات السياسية التي مرت بها مكة آنذاك – والتي كانت بمثابة داعم أساسي وقوي للأمن والاستقرار، وشجعت بدورها على القدوم إلى مكة، والمجاورة أو الاستقرار بها – والمتمثلة بنهاية المنافسة والصراع بين العباسيين والعبيديين على مكة، ومن ثمّ بسط العباسيين سلطتهم الكاملة على مكة – كما أشرنا . وتلك السياسية التي انتهجها السلطان صلاح الدين الأيوبي مع بلاد الحجاز ؛ سواء منها عدم المساس بسلطة الخلافة العباسية ونفوذها الروحي على بلاد الحرمين الشريفين، أو منع أشراف مكة من أخذ المكوس والضرائب على الحجاج والتجار القادمين إلى بلاد الحجاز، وتعويضهم عنها بأعطيات عينية ونقدية مختلفة [(٤)]. أو ذلك الأمن والرخاء الذي عمّ مكة عقب

(١) عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٥١٧-٥١٨ .

(٢) حسن الوراكلي، المجاورون الأندلسيون، ص٣١٥ .

(٣) هذا ما سنرى نماذج منه - إن شاء الله - في الصفحات القادمة .

(٤) أبو شامة المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين، بيروت، دار الجيل، (د . ت) ج٢، ص٣ ؛ ابن جبير، الرحلة، ص٣٠-٣١، ٥٤-٥٥ ؛ نجم الدين بن فهد، إتحاف الورى، ج٢، ص٥٣٨-٥٣٩ ؛ السنجاري، منائح الكرم، ج٢، ص٢٥٨-٢٥٩ .

سيطرة حاكم اليمن الملك المسعود عليها سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م، والذي وصفه الذهبي بقوله – بعد ذكر استيلائه على مكة [١]: " وكثر الجلب إلى مكة في أيامه، ولعظم هيبته قلّت الأشرار، وأمنت الطرق " .

وكان الانفتاح نحو إقامة المدارس التي عُنيت ببعض العلوم والتخصصات في مكة إبان العصر الذي نتحدث عنه – والذي شهد البداية الفعلية لظهور المدارس النظامية في مكة، بتأسيس حوالي ثمان مدارس فيها – الأثر القوي في تشجيع واستقطاب الكثير من العلماء وطلاب العلم الذين قدموا إلى مكة وجاوروا فيها، خصوصاً وأن واقفي هذه المدارس قد وفروا للمدرسين والطلاب فيها من الأوقاف والمخصصات والخدمات ما يساعد هؤلاء ويحثهم على التفرغ للعلم وطلبه [٢]. كما هيأ في بعضها السكن لمنسوبيها من أساتذة وطلاب [٣].

كما تنافس محبو الخير آنذاك أيضاً – وبعد أن اطمئنوا على استقرار الأوضاع في مكة – على إقامة العديد من الأربطة فيها، فتم خلال الحقبة التاريخية التي نتحدث عنها – والممتدة من ٥٧٠هـ –

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق، بشار عواد معروف وآخرون، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٠٨هـ/١٩٩٨م، حوادث ووفيات (٦١١-٦٢٠هـ)، ص٥٧-٥٨ .

(٢) الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص٥٢٣-٥٢٧ ؛ فواز بن علي الدهاس، المدارس في مكة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، ع٢، س١، ربيع الأول ١٤٢١هـ، ص٥٥-٧٥ ؛ نوال طلال الشريف، الحياة العلمية في بلاد الحجاز وعلاقتها بمصر في القرنين السادس والسابع الهجريين، " رسالة دكتوراه " الرئاسة العامة لتعليم البنات، كلية التربية للبنات بجدة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص٢٧٢-٢٨٧، ٣٠٦-٣١٨ .

(٣) الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين . تحقيق، فؤاد سيد، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج١، ص٤٥٤ .

٦٦٠هـ/١١٧٤ـ١٢٦١م – تأسيس أكثر من اثنين وعشرين رباطاً في أنحاء مختلفة من أزقة مكة وأحيائها [1]. وكانت هذه الأربطة – بما خصص لها من مساكن، وما عين لها من مصروفات ثرّة – خير مشجع لمكوث بعض العلماء والطلاب وبقائهم في مكة، خصوصاً منهم ذوي الدخل المادي المتواضع [2].

بيد أن هناك عوامل وأسباب أخرى أسهمت – بطريق أو بأخر – في جذب عدد من منسوبي العلم واستقطبتهم للمجاورة المؤقتة في مكة، أو الاستقرار الدائم فيها، ونقصد بذلك الأعمال الخيرية المتعددة، والنفقات والصدقات المتزايدة، التي حضيت بها مكة إبان العصر الذي نتحدث عنه – بصفة خاصة. ومن أبرز ما نراه في هذا الجانب بذل الخلفاء والسلاطين والأمراء في سبل الخير المتعددة في مكة [3]، حتى أن بعضهم قد تعهد بإرسال نفقات سنوية إلى مكة توزع فيها على الفقراء والمحتاجين من المجاورين وغيرهم [4]. ومثل ذلك العطاء الخيري قام ببذله – أيضا – على هذه الفئات عدد من التجار والمؤسرين [5]. كما قامت في مكة آنذاك العديد من المنشآت الخيرية والاجتماعية التي كان لها

---

(١) الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص٥٢٧-٥٣٨.

(٢) الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص٢٣٠، ج٥، ص٢٠٣، ٤٩٤، ٥٢١-٥٢٢، ج٦، ص٣٦٢-٣٦٣.

(٣) ابن جبير، الرحلة، ص١٦٢-١٦٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٨٩، ١٤٧؛ الفاسي، العقد الثمين، ج٤، ص٣١٧-٣١٨؛ الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة، ج١، ص٥٩٥، ٥٩٧، ٦٠١.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٣٢٠؛ الفاسي، العقد الثمين، ج٤، ص٣١٧-٣١٨.

(٥) المراكشي، الذيل والتكملة، س٦، ص٢٨٢؛ الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص٩٤، ج٥، ص١٢، ٣٩، ج٦، ص١٨١-١٨٢.

الأثر المؤكد في التشجيع على الاستقرار أو المجاورة في مكة [(١)].

وتكشف القراءة المتأنية لشخصيات المجاورين وتفحص حياتهم وسيرهم الخاصة – وهو المحور الثالث من محاور حديثنا – أسباباً ودوافع أخرى للمجاورة المؤقتة أو الاستقرار في مكة، وقد شكلت الرغبة في العبادة دافعاً قوياً حرك شريحة كبيرة من العلماء وطلاب العلم للقدوم إلى مكة، ومن ثمّ المجاورة أو السكن فيها، وقد غلبت على هذه الفئة – والتي شكلت نسبة كبيرة من المجاورين – حياة الورع والزهد، ولذا فإننا نلحظ أن معظم هذه الشريحة قد فضلت البقاء الدائم في مكة، ومنهم عدد كبير قد قدم إلى مكة في أواخر حياته ليختمها في هذا المكان الشريف [(٢)]. الجدير بالذكر أن مجموعة من هؤلاء العباد قد جعلت من التصوف مسلكاً لها، وقد تكاثر مثل هذا النوع بين المجاورين آنذاك، نظراً لتكاثرهم في العالم الإسلامي، ولوجود عدد من مشاهيرهم فيها، فضلاً عن مساهمة بعض الأربطة المخصصة لهم في مكة آنذاك في تشجيعهم على المجاورة فيها [(٣)].

بيد أن مكانة مكة العلمية السامقة بما توافر فيها من علماء

---

(١) ابن جبير، الرحلة، ص١٠٢-١٠٣ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص١٤٧ ؛ الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة، ج١، ص٥٧٧، ٥٨٠، ٥٩٠، ٥٩٣، ٥٩٦ .

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق، أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج٨، ص١٨٤ ؛ الفاسي، العقد الثمين، ج٥، ص٤٩٧-٤٩٩ .

(٣) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق، بشار عواد معروف، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج٢، ص٢٢٥، ج٣، ص١٦٥، ٣٨١ ؛ الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص٤٢٣، ج٢، ص٩١، ١٦١، ٣٣٨، ج٣، ص٧٧، ٨٣-٨٦، ١٠٥-١٠٧، ٣٠٦، ج٥، ص٦.

أجلاء مبرزين، سواء كانوا من أبنائها أو المجاورين فيها أو الوافدين إليها، قد جذبت عدداً من المهتمين بالعلم وأغرتهم بالمجاورة للاستفادة من هذه الفرص العلمية التي لا توجد في غيرها من المدن والأصقاع الأخرى [(١)]. سيما وأن الرحلة العلمية إلى مكة كانت في الأوساط العلمية بمثابة وسام علمي يضاعف من مكانة العالم ويميزه عن غيره ممن لم يرحل في سبيل طلب العلم إلى مكة [(٢)].

وكان للوظائف الدينية والعلمية في المسجد الحرام وغيره، والتي لا يتولاها – في الغالب – سوى حملة العلم، الأثر في مجيء بعض العلماء إلى مكة واستقرارهم فيها، سيما في ظل عدم وجود المؤهل من أبناء مكة لشغل كثير منها . ولذا فقد كانت هذه الوظائف سبباً مباشراً لقدوم عدد كبير – كما سنرى – من حملة العلم الذين شاركوا في دعم الحياة العلمية وتحريكها .

وكانت المشاكل أو المضيقات المذهبية التي يتعرض لها – أحياناً – بعض العلماء في بلادهم مدعاة لفرار بعضهم واللجوء إلى مكة،

---

(١) المنذري، التكملة، ج٢، ص١٩٧ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (٦٠١-٦١٠هـ)، ص٢٣١ ؛ الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص٣٧٦ ؛ المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق، مريم قاسم طويل ويوسف قاسم طويل، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج٢، ص٢٣٩-٢٤٠، ٥١٠ .

(٢) إبراهيم القادري بوتشيش، العلماء المجاورون بمكة : نموذج للملتقيات العلمية بمكة عاصمة الثقافة الإسلامية في العصر الوسيط . بحث قدم ضمن ندوة الحج الكبرى لعام ١٤٢٣هـ . وطبعت أبحاث الندوة بعنوان : مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية (بحوث ودراسات) - إعداد، أبو بكر أحمد باقادر، ط١، الرياض ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٣٥٥ .

حيث الراحة والطمأنينة، ومثل هؤلاء غالباً ما يبقون فيها مجاورين حتى الوفاة [(1)].

كما كان طلب الرزق، أو الرغبة في ممارسة التجارة، والتي عرفت بها مكة، وكانت مزدهرة آنذاك، عاملاً مغرياً لجذب عدد من المهتمين بالعلم إلى مكة، فجمع هؤلاء فيها بين طلب الرزق وتحصيل العلم ونشره [(2)].

الأمصار التي قدم منها المجاورون.

يفضي بنا البحث الدقيق في كتب الطبقات والتراجم إلى أن ما يقارب المائة وثمانية وخمسين شخصاً من منسوبي العلم، ممن اختلفت مشاربهم العلمية وتباينت ثقافاتهم وتعددت جهات قدومهم، قد جاوروا في مكة [(3)]، وأَثْروا - بطرق مختلفة - الحياة العلمية فيها خلال الفترة

(1) الفاسي، العقد الثمين، ج٤، ص٤٨٠، ج٥، ص٤٣٤، ج٦، ص٢٥٠، ٢٥٨؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، تحقيق، عبد العليم خان، بيروت، دار الندوة الجديدة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٢، ص٣٦٨؛ السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، عني بنشره، أسعد طرابزوني الحسيني ١٣٩٩هـ-١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ج٢، ص١٧٦-١٧٧.

(2) المراكشي، الذيل والتكملة، س٦، ص٢٨٢؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق، محمد السعيد بن بسيوني زغلول. ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج٣، ص٦٦؛ الفاسي، العقد الثمين، ج٥، ٣٩-٤٠، ٥٢١-٥٢٢.

(3) تجدر الإشارة هنا إلى أنني قد اقتصرت في هذا البحث، وكذلك في العدد المذكور على من نصت المصادر المتاحة على مجاورتهم في مكة من حملة العلم، أو أولئك العلماء الذين ذكرت المصادر أيضاً مشاركتهم العلمية - في غير مواسم الحج - مشاركة نتأكد من خلالها أنهم بقوا في مكة فترة من الزمن، حيث يعتبر بقاءهم في مكة مجاورة رغم أن المصادر لم تصرح بذلك. أما الطلاب الذين وفدوا إلى مكة لطلب العلم فقط فقد استبعدتهم، ما لم أجد نصاً صريحاً يؤكد مجاورتهم الفعلية.

الممتدة من ٥٧٠ ـ٦٦٠هـ/١١٧٤ـ١٢٦١م . وقد قيض الله هذه الشريحة المباركة لتنشط – بما حملته معها من علوم متعددة ومعارف واسعة – في دعم وجوه الحركة الثقافية المختلفة في مكة [١]، بعد أن غدت بمناشط هؤلاء المجاورين العلمية المتنوعة بمثابة ملتقى علمي مفتوح لسائر علماء المسلمين طوال أيام السنة، ولتصبح هذه الكوكبة التي لمع بريقها العلمي في مكة آنذاك، نواة أساسية ومرتكز ثابت لما يلحظه المطلع من تطور علمي شامل عاشته مكة إبان العهد المملوكي [٢].

وقد رام الاستقرار في مكة وفضله من العدد السابق حوالي واحد وسبعين مجاوراً، من هؤلاء من قدم – كما سنرى في صفحات البحث القادمة – إليها في فترة مبكرة من عمره، ومنهم من جاء إليها في أواسط سنه، بينما ثوى آخرون فيها بعد أن تقدموا في السن ليختموا حياتهم الدنيا على تراب مكة المشرفة، بيد أن من هذه الفئة الأخيرة من لم تسعفه الظروف لتحقيق هذا المراد، رغم تخطيطه المسبق لذلك، وبقائه فيها فترة طويلة من عمره [٣].

---

(١) نؤمن بذلك وندركه بوضوح إذا قمنا بمقارنة نسبة العلماء والطلاب المكيين آنذاك مع زملائهم المجاورين فيها . حيث يؤكد البحث الدقيق في صفحات العقد الثمين في تاريخ البلد الثمين لتقي الدين الفاسي ـ وهو الكتاب الذي خصصه مؤلفه لتراجم أهل مكة ومن قدم إليها أو له أي جهد يذكر فيها، بما في ذلك جميع من وصل إليه خبرهم من العلماء والطلاب المكيين ـ أن عدد العلماء والطلاب المكيين لا يتجاوز آنذاك الثلاثين شخصاً، معظمهم من أبناء البيت الطبري .

(٢) يتضح ذلك جلياً بالاطلاع على بعض كتب التراجم المتخصصة في المكان المقصود أو الزمان المذكور، ومنها ـ مثلا ؛ العقد الثمين للفاسي، وذيله المعروف بالدر الكمين لابن فهد، والضوء اللامع للسخاوي، والدرر الكامنة وكذلك أنباء الغمر لابن حجر، وغيرها .

(٣) الفاسي، العقد الثمين، ج٧، ص٣٣٤ ؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص٣٤٥ .

أمـا بقيـة العـدد الـسابق مـن المجـاورين فهـم ممـن جـاءوا إلى مكـة ليمـضوا فيهـا حقبـة مـن الـزمن، تـرتبط مـدتها بمـدى تحقيـق الأهـداف والمقاصد التي جاوروا من أجلها .

ويوضـح الجـدول التـالي الأقـاليم الإسـلامية الـتي مـدت مكـة بالمجـاورين خـلال الفـترة المعنيـة بالدراسـة، وعـدد القـادمين مـن كـل إقلـيم، كمـا يبـيّن أعـداد المـستقرين حتـى الوفـاة، وكـذلك عـدد مـن عـادوا بعـد المجاورة [١].

الإقليم	عدد المجاورين (بصفة عامة)	عدد المستقرين حتى الوفاة	عدد المجاورين لفترة محدودة
العراق	٣٩	١٦	٢٣
المشرق الإسلامي	٢٩	١٦	١٣
الأندلس	٢٧	١٠	١٧
مصر	٢١	٨	١٣
الشام	١٦	٤	١٢
المغرب العربي	١٤	٨	٦
اليمن	١٢	٩	٣
المجموع	١٥٨	٧١	٨٧

(١) اعتمدت في هذه الإحصائية على الكثير من الكتب التي عُنيت بالتراجم سواء منها كتب الطبقات والتراجم أو غيرها، والتي يجدها المطلع في قائمة المصادر والمراجع في نهاية الدراسة .

ويتضح من خلال استقراء أرقام الجدول السابق وتحليلها أن زيادة نفوذ العباسيين في العراق، وتفشي الأمن على الطرق التي تربطه بالمقدسات الإسلامية في الحجاز، فضلاً عن تنامي الحركة العلمية وازدهارها في هذا الإقليم – كما سبق بيانه – قد أهلته لتصدر الأقاليم الإسلامية في عدد المجاورين منه في مكة . وقد بلغ عدد القادمين من هذا الإقليم تسعة وثلاثين رجلاً، فضل ستة عشر منهم الاستيطان في مكة، أما البقية فقد عادوا إلى بلادهم . وكان عدد القادمين من بغداد وحدها ثلاث وعشرين فرداً، منهم عدد كبير جاء بناء على أوامر السلطة بعد أن كلفوا بتولي بعض الوظائف في مكة . أما بقية العدد القادم من العراق فقد جاءوا للمجاورة من واسط والموصل وأربل وبعض مدن أعالي الجزيرة الفراتية وغيرها .

وتأتي مدن المشرق الإسلامي المختلفة بعد العراق في عدد المجاورين، وقد بلغ عددهم تسعة وعشرين مجاوراً، شكل منهم رغبوا الاستيطان في مكة الأكثرية حيث بلغوا ستة عشر رجلاً . وكانت أكثريتهم قد وفدت من إقليم خراسان، خصوصاً مدينة نيسابور .

وجاء من بلاد الأندلس – والتي نشطت منها الرحلات العلمية إلى المشرق الإسلامي آنذاك [(١)] – للمجاورة في مكة سبعة وعشرون شخصاً، آثر عشرة منهم النزول الدائم في مكة، في حين فضل البقية الرجوع إلى بلادهم . وكانت مدينة بلنسية أكثر المدن الأندلسية مداً لمكة بالمجاورين.

---

(١) إبراهيم بن محمد المزيني، رحلات المغاربة إلى المشرق الإسلامي في عصر الحروب الصليبية، ندوة بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر للميلاد "التاسع الهجري"، اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص٣٣٧ .

أما مصر فقد بلغ عدد المجاورين والنزلاء القادمين منها إحدى وعشرين، مكث ثمانية منهم في مكة حتى وافتهم المنية . ومن مدينتي القاهرة والإسكندرية جاء معظم المصريين للمجاورة في مكة.

وقد قدم من منطقة الشام بمدنها المختلفة للمجاورة ستة عشر رجلاً ، فضل معظمهم المجاورة فترة محدودة من الزمن، في حين استقر في مكة أربعة منهم فقط .

ومن مدن المغرب العربي المختلفة جاور أربعة عشر شخصاً ، بقي منهم في مكة مستوطناً حتى الوفاة ثمانية . وقد تصدرت مدينة مكناسة نظيراتها من مدن هذا الإقليم في كثرة القادمين، فبلغ عدد من جاور منها أربعة أشخاص .

أما بلاد اليمن فكانت أقل من بقية الأقاليم في عدد المجاورين منها ، فلم يأت من هذه الجهة سوى اثنى عشر رجلاً فقط، ولكن اليمن فاقت بقية الأقاليم في نسبة المستقرين من أبنائها في مكة ، بعد أن فضل ثلاثة أرباع المجاورين اليمنيين النزول الدائم فيها .

مدة المجاورة .

تشح المصادر المتاحة – والتي أكدت مجاورة بعض العلماء – في تزويدنا بالمدة التي قضاها أكثرهم في مكة ، فهي تلمح – في الغالب – دون تحديد إلى أن هذا العالم أو ذاك قد جاور سنيناً في مكة [1] ، أو

---

(١) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق، مهدي النجم، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص١٦٥–١٦٦ ؛ المنذري، التكملة، ج٢، ص٢٥٨، ج٣، ص١٦٥ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٢، ص٨٦ ج١٩، ص٢٠٦ ـ٢٠٧، ج٢١، ص٢٤ـ٢٥ ؛ الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص٦٦، ١٥٩، ج٦، ص٢٨٥ـ٢٨٦ .

تؤكد بأنه جاور حتى مات فيها [(١)]. بل أن من هذه المصادر من يبخل – أيضاً – في التصريح بالمجاورة، رغم إشارته – بطريق غير مباشر – إليها من خلال التأكيد على بقاء أحد العلماء في مكة فترة زمنية، تمكن خلالها من التحديث ونشر العلم فيها [(٢)].

وثمة مصادر أخرى كانت أكثر من سابقتها إيجابية، فبيّنت لنا – من خلال بعض النصوص الواردة فيها – مدة المجاورة التي أمضاها عدد من العلماء والطلاب في مكة، وقد أكدت هذه المصادر من خلال ما زودتنا به من معلومات في هذا الجانب تفاوت مدة المجاورة بين شخص وأخر، فهي تخضع – بطبيعة الحال – للظروف الخاصة والعامة ذات الصلة بحياة المجاور أو المجتمع المحيط به.

فهناك – وفق ما جاء في المصادر المنوه عنها – من المجاورين من بقي في مكة سنة كاملة، ومن هؤلاء – على سبيل المثال – محمد بن علوان بن مهاجر الموصلي (ت٦١٥هـ/١٢١٨م) [(٣)]، وأحمد بن

(١) ابن نقطة، التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد، بيروت، دار الحديث ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ج٢، ص١١٨ ؛ المنذري، التكملة، ج٣، ص٩٧، ١٩٣ ؛ ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب . تحقيق، سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، (د . ت)، ج٧، ص٣٣١٨ ؛ الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص٢٩٠، ج٢، ص١٦١، ج٣، ص٢٩٩، ج٤، ص٤٢٦، ج٦، ص٤٨ .

(٢) انظر ـ على سبيل المثال ـ المنذري، التكملة، ج١، ص١٥٣ـ١٥٤، ١٥٩، ١٧٩، ج٢، ص١٢٨، ١٧٥، ١٩٧، ٣٣٦، ج٣، ص٣٨٩ ؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج٣، ص١٠٧٢، ج٥، ص٢٢٩٠ ؛ الفاسي، العقد الثمين، ج٧، ص٤٩٩ ؛ المقريزي، المقفى الكبير، تحقيق، محمد البعلاوي . ط١، بيروت، دار الغرب ١٤١١هـ/١٩٩١م ج٢، ص١٢٠ـ١٢١ .

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٤، ص٧٣ـ٧٤ .

وسوف اقتصر في ذكر سنة الوفاة أمام كل شخصية ترد في الدراسة عند أول ذكر لها فقط .

يوسف بن أيوب بن شاذي الأيوبي (ت٦٣٤هـ/١٢٣٦م) [(١)]، وأبو بكر ابن أحمد بن عمر البغدادي (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م) [(٢)]. ومن المجاورين من مكث في مكة سنتين، مثل ؛ محمد بن عبد الله بن سليمان الأنصاري البلنسي (ت٥٩٨هـ/١٢٠١م) [(٣)]. ومنهم من امتدت مجاورته إلى خمس سنوات ؛ مثل ؛ محمد بن علي بن محمد الأندلسي المرسي المعروف بابن العربي (ت٦٣٨هـ/١٢٤٠م) حيث بلغت سنوات مجاورته في الحرمين خمس سنوات [(٤)]. وقد تمتد المجاورة عند آخرين إلى سبع سنوات، كما حصل لعبد الرحيم بن أحمد بن حجوز الحسيني الترغي السبتي (٥٩٢هـ/١١٩٥م) [(٥)]. أما عمر بن علي بن مرشد المعروف بابن الفارض (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م) فقد بلغت مجاورته في مكة اثنتا عشرة سنة [(٦)]. كما جاور بطال بن أحمد بن سليمان الركبي (ت بعد ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) أربعة عشر عاماً [(٧)].

ومن العلماء وطلاب العلم من كرر المجاورة في مكة أكثر من مرة، ومن هؤلاء – مثلاً – أحمد بن عبد الله بن علوان الأسدي الحلبي (ت٦١٧هـ/١٢٢٠م) الذي جاور في مكة مرات عديدة، بلغت أحدها

---

(١) المصدر نفسه، ج٨، ص١٨٤ .

(٢) المصدر نفسه، ج١٠، ص١٤٠ .

(٣) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق، عبد السلام الهراس، بيروت، دار الفكر ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج٢، ص٧٨ ؛ المراكشي، الذيل والتكملة، س٦، ص٢٨٢ .

(٤) ابن الأبار، المصدر السابق، ج٢، ص١١٤ ؛ المراكشي، المصدر السابق، س٢، ص١١٤ .

(٥) الفاسي، العقد الثمين، ج٥، ص٤٢٠-٤٢١ .

(٦) المصدر نفسه، ج٦، ص٣٥٠-٣٥١ .

(٧) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٧٦ .

حوالي عشرين سنة [١]. ومحمد بن إبراهيم بن أحمد الفارسي (ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م) الذي جاور في مكة أكثر من مرة [٢]. وأحمد بن علي بن محمد القسطلاني (ت٦٣٦هـ/١٢٣٨م) الذي جاور في مكة مرتين، الأولى امتدت من سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٥م حتى سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م، أما الثانية فبدأت من سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م واستمرت حتى وفاته [٣]. ومحمد بن عبد الله بن محمد المرسي السلمي (ت٦٥٥هـ/١٢٥٧م) وهو ممن تردد إلى مكة وجاور بها خلال ذلك زمناً طويلاً [٤]. ومحمد بن علي ابن عطية المكناسي (ت بعد ٦٥٧هـ/١٢٥٨م) الذي جاور في مكة أكثر من مرة [٥].

أما أولئك الذين فضلوا النزول الدائم في مكة من العلماء والطلاب – والذين ستصبح فوائدهم على الحياة العلمية أكثر نفعاً وأعظم أثراً من سواهم – فكانت نسبتهم عالية من بين عموم المجاورين – كما سبق بيانه . وقد تفاوتت المراحل العمرية التي كان عليها هؤلاء عند قدومهم مكة، فمنهم من قدم إليها صغيراً، وفيها نشأ وترعرع، مثل ؛ محمد بن علوان بن هبة الله التكريتي الحوطي (ت٦٠٤هـ/١٢٠٧م) الذي خرج إلى مكة للمجاورة الدائمة في زهرة شبابه، وعاش فيها حوالي خمسين سنة [٦].

---

(١) ابن العديم، بغية الطلب، ج٢، ص٩٢٢-٩٢٥ .

(٢) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص٣٩٣ .

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص١٠٥-١٠٧ .

(٤) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ط١، حيدر آباد، الهند، دائرة المعارف العثمانية ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م، ج١، ص٧٧ .

(٥) الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص١٥٩-١٦٠ .

(٦) المنذري، التكملة، ج٢، ص١٣٩ ؛ الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص١٤٧ .

وعبد السلام بن أبي المعالي بن أبي الخير الكازروني (ت٦٢٨هـ/١٢٣٠م) الذي أقام بمكة أكثر عمره مجاوراً [١]. وقيصر بن أقسنقر بن عبد الله التركماني (ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م) الذي جاور أكثر من ستين سنة في مكة [٢]. وجابر بن أسعد بن جابر الحميري الحضوري (ت٦٤٩هـ/١٢٥١م) الذي قدم مكة وعمره عشرين سنة [٣]. ومحمد بن أحمد بن علي بن محمد القسطلاني (ت٦٨٦هـ/١٢٨٧م) الذي حمل إلى مكة وعمره خمس سنوات [٤].

ومن المجاورين من جاء إلى مكة بعد أن أمضى سنوات من حياته، تبصر خلالها في العلم، بعد أن جدّ في طلبه، ثم آثر بعد ذلك الاستقرار الدائم في مكة، مثل ؛ عمر بن عبد المجيد بن عمر العبدري المعروف بالميانشي (ت٥٨٣هـ/١١٨٧م) [٥]، ومحمد بن إسماعيل بن أبي الصيف (ت٦٠٩هـ/١٢١٢م) [٦]، وزاهر بن رستم بن أبي الرجاء الأصبهاني البغدادي (ت٦٠٩هـ/١٢١٢م) [٧]، ومحمد بن عمر بن محمد التوزري القسطلاني (ت٦٦٣هـ/١٢٦٤م) [٨]، ومحمد بن يوسف بن

(١) الفاسي، المصدر السابق، ج٥، ص٤٣١ .
(٢) المصدر نفسه، ج٧، ص٨٢٨١ .
(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص٤٠٠ .
(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٣٢١ .
(٥) المصدر نفسه، ج٦، ص٣٣٦،٣٣٤ .
(٦) المصدر نفسه، ج١، ص٤١٦ .
(٧) المصدر نفسه، ج٤، ص٤٢٧،٤٢٦ .
(٨) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣١ .

موسى الأزدي المعروف بابن مسدي الأندلسي (ت٦٦٣هـ/١٢٦٤م) [١]، وعبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن عساكر الدمشقي (ت٦٨٦هـ/١٢٨٧م) [٢].

بيّد أن هناك من المجاورين من خرج إلى مكة للمجاورة بعد أن أحس بدنوا أجله، مؤملاً أن تدركه المنية في هذه البقعة المباركة، مثل ؛ عبد المحسن بن أبي العميد بن خالد الأبهري الحفيفي (ت٦٢٤هـ/١٢٢٦م) الذي جاء إلى مكة سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٥م ثم مات في السنة التالية [٣]. وعلي بن محمد بن أحمد الحضرمي المعروف بأبي حديد (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م) الذي جاور في مكة سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م ومات فيها بعد سنتين من مجاورته [٤]. وكذلك الحسن بن سيف بن الحسن الشهراباي (ت٥٨٢هـ/١١٨٦م) الذي جاور في مكة أخر سنة من عمره [٥]. ومثله علي بن محمد بن محمد بن إبراهيم الأشبيلي المعروف بالحصار (ت٦١١هـ/١٢١٤م) الذي رحل إلى المشرق في أخر عمره وجاور في مكة [٦]. وغيرهم .

الجدير بالذكر أن المجاورة تأتي – في الغالب – بعد أداء فريضة

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٠٨ .

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٨، ص٢٧١ ؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢، ص١٧٦-١٧٧ .

(٣) الفاسي، العقد الثمين، ج٥، ص٤٩٤ .

(٤) المصدر نفسه، ج٦، ص٢٤٩-٢٥٠ .

(٥) المصدر نفسه، ج٤، ص٨٠ .

(٦) المراكشي، الذيل والتكملة، س٥، ق١، ص٣٧٥-٣٧٦.

الحـج [١]، كمـا تـرتبط – بطبيعـة الحـال – بتحركـات قوافـل الحجـاج والمعتمـرين، حيـث يـضطر المجـاور لمـصاحبة هـذه الحمـلات ذهابـاً وإيابـاً لـضمان الـسلامة في الطـرق . ومـنهم مـن يـأتي مـع قوافـل المعتمـرين الـتي تـأتي قبـل بـدء موسـم الحـج بفـترة طويلـة، ويبقـى مجـاوراً حتـى نهايـة أداء المناسـك فيعود مع الحجاج مرة أخرى [٢].

المجاورون والوظائف الدينية والتعليمية في مكة .

شـغل عـدد مـن المجـاورين – وبتكليـف مـن الدولـة العباسـية في الغالـب – العديـد مـن الوظـائف والمهـام الدينيـة والعلميـة في مكـة، الرسميـة منهـا وغـير الرسميـة، وكانـت هـذه الأعمـال سـبباً في مجـاورة عـدد مـن مـشاهير العلمـاء الـذي أسـهموا بـدور فاعـل في تحريـك الحيـاة العلميـة وإنمائهـا في مكـة آنـذاك . ومـن أهـم الوظـائف الـتي أسـندت لهـؤلاء في مكـة إمامـة مقـام إبـراهيم، وكـذلك بعـض المقامـات الدينيـة الأخـرى الخاصـة بالمذاهب الفقهية، والمنتشرة في جنبات المسجد الحرام آنذاك .

وكـان ممـن تـولى إمامـة مقـام إبـراهيم – وهـي الإمامـة الرئيـسة بـالحرم، ويتولهـا أحـد العلمـاء الـشافعية بـأمر مـن الخلافـة العباسـية [٣] – مـن غـير المكـيين ؛ عمـر بـن عبـد المجيـد العبـدري المعـروف بالميانـشي وكـان شـيخ مكـة وخطيبهـا [٤]. ومحمـد بـن جعفـر بـن أحمـد العباسـي

(١) الفاسي، العقد الثمين، ج٦، ص٣٦٣، ج٧، ص٢٧ ؛ المراكشي، المصدر السابق، س٦، ص٢٨٢، س٨، ق١، ص٢٠٩-١١٠ ؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج١، ص٣١٢-٣١٣ ؛ المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٦٤٥ .

(٢) ابن جبير، الرحلة، ص٤١، ٥٧، حسن الوراكلي، المجاورون الأندلسيون، ص٣١٦ .

(٣) ابن جبير، المصدر السابق، ص٧٨ .

(٤) الفاسي، العقد الثمين، ج٦، ص٣٣٤ .

(ت٥٩٥هـ/١١٩٨م) الذي تولى الإمامة والخطابة بمكة مع قضائها - أيضاً - من سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م حتى سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م حيث عاد إلى بغداد بعد ذلك [١]. ومحمد بن أبي بكر الطوسي (ت٥٩٨هـ/١١٩٣م) [٢]. ومحمد بن علوان بن هبة الله التكريتي الحوطي، وقد تولى إمامة المقام بعد الطوسي [٣]. ويونس بن يحيى الهاشمي القصار البغدادي (ت٦٠٨هـ/١٢١١م) [٤]. وزاهر بن رستم الأصبهاني البغدادي [٥]. وعبد المحسن بن أبي العميد بن خالد الأبهري الحفيفي، وكان قد تولاها سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م [٦]. ومحمد بن يوسف بن موسى الأزدي المعروف بابن مسدي، الذي أسندت إليه الإمامة والخطابة في المسجد الحرام من قبل الأشراف، بعد اضمحلال نفوذ العباسيين في مكة [٧].

كما أسندت إمامة مقام الحنابلة بمكة لعدد من المجاورين، منهم ؛ مبارك بن علي بن الحسين البغدادي المعروف بابن الطباخ (ت٥٧٥هـ/١١٧٩م) [٨]، محمد بن عبد الله بن الحسين الهروي

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٤٣٧ .

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٤٣٤ .

(٣) المنذري، التكملة، ج٢، ١٣٩ ؛ الفاسي، المصدر السابق، ج٢، ص١٤٧ .

(٤) الفاسي، المصدر السابق، ج٧، ص٥٠٠-٥٠١ .

(٥) ابن نقطة، التقييد، ج١، ص٣٣٢ ؛ الفاسي، المصدر السابق، ج٤، ص٤٢٦ .

(٦) الفاسي، المصدر السابق، ج٥، ص٤٩٤ .

(٧) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٥، ص١٦٦ ؛ الفاسي، المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٨ ؛ المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٥٩٥ .

(٨) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، بيروت، دار المعرفة، (د.ت)، ج١، ص٣٤٦ ؛ الفاسي، المصدر السابق، ج٧، ص١٢٠ .

الأشكيذباني (ت٥٩٠هـ/١١٩٣م) [١]، وسليمان بن شاذي بن عبد الله الأزجي البغدادي (ت٦٠٨هـ/١٢١١م) وقد تولى بعد الهروي [٢]، ونصر بن محمد بن علي النهاوندي البغدادي المعروف بالحصري (ت٦١٩هـ/١٢٢٢م) [٣].

هذا في حين تولى عدد أخر من المجاورين إمامة مقام المالكية في مكة، منهم ؛ علي بن عبد الله ابن حمود المكناسي (ت٥٧٣هـ/١١٧٧م) [٤]، والحسن بن محمد بن علي الجزائري (ت أواخر ق ٦ هـ/ق ١٢م) [٥]، ومحمد بن عبد الله بن الفتوح المكناسي (ت٥٩٢هـ/١١٩٥م) [٦]، ومنصور بن حمزة بن عبد الله المحاصبي المكناسي (ت بعد ٥٩٥هـ/١١٩٨م) [٧]، ومحمد بن عبد الرحمن بن محمد الهاشمي الصقلي (ت بعد ٦٠٧هـ/١٢١٠م) [٨]، وعمر بن محمد بن عمر التوزري القسطلاني (ت٦٤٤هـ/١٢٤٦م) [٩]، ومحمد بن عمر بن محمد

---

(١) المنذري، التكملة، ج١، ص٢١٤ ؛ ابن رجب، المصدر السابق، ج١، ص٣٨١-٣٨٢ ؛ الفاسي، المصدر السابق، ج٢، ص٥٢ .

(٢) الفاسي، المصدر السابق، ج٤، ص٦٠٦ .

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٧، ص٥٣ ؛ الفاسي، المصدر السابق، ج٧، ص٣٣٢ .

(٤) الفاسي، المصدر السابق، ج٦، ص١٨١ .

(٥) المصدر نفسه، ج٤، ص١٨٠ .

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٧٤ .

(٧) المصدر نفسه، ج٧، ص٢٨٤ .

(٨) المصدر نفسه، ج٢، ص١١٢ .

(٩) المصدر نفسه، ج٦، ص٣٥٨ .

التوزري القسطلاني [١].

وتقتصر المصادر المتوفرة على ذكر مجاور واحد فقط تولى إمامة مقام الحنفية في المسجد الحرام، وهو أبو بكر بن أبي الفتح بن عمر السجزي (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م) [٢]. ويبدو أن هذا العمل قد توارثه أبناؤه من بعده، حيث ذكر ابن العديم أن أحد أبنائه تولى إمامة هذا المقام أبيه [٣].

ومن المجاورين من عُهد إليه مهمة الآذان في المسجد الحرام، ومن هؤلاء ؛ عبد السلام بن أبي المعالي بن أبي الخير الكازروني [٤]، وابنه محمد (ت٦٥٥هـ/١٢٥٧م) [٥]، وكذلك محمد بن عرفة بن محمد الأصبهاني (ت بعد ٦٣٧هـ/١٢٣٩م) الذي اختص بالآذان على قبة بئر زمزم [٦].

أما منصب القضاء في مكة فقد أوكل إلى عدد أخر من المجاورين آنذاك، منهم من تولاه بتكليف من قبل الخلافة العباسية، مثل؛ عمر بن عبد المجيد بن عمر العبدري المعروف بالميانشي الذي تولى قضاء الحرمين [٧]، ومحمد بن جعفر بن أحمد العباسي حيث تولاه في

---

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣١-٢٣٢ .
(٢) ابن العديم، بغية الطلب، ج١٠، ص٤٣٥٩ ؛ الفاسي، المصدر السابق، ج٨، ص١٨-١٩ .
(٣) بغية الطلب، ج١٠، ص٤٣٥٩ .
(٤) الفاسي، العقد الثمين، ج٥، ص٤٣١ .
(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص١٢١ .
(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص١٤٠ .
(٧) المصدر نفسه، ج٦، ص٣٣٤-٣٣٦ .

مكة من سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م واستمر حتى سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م [(١)]. وكان الخضر بن عبد الواحد بن علي الحلبي الشروطي المعروف بابن السابق (ت٦٣١هـ/١٢٣٣م) قد أسند إليه القضاء من قِبل الملك المسعود بن الكامل الأيوبي حاكم اليمن (٦١١ــ٦٢٦هـ/١٢١٤ــ١٢٢٨م) [(٢)]. أما محمد بن أحمد بن علي بن محمد القسطلاني، والذي كان قاضياً في مكة سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م [(٣)]، فرغم أن المصادر لا تسعفنا في معرفة من كلفه بهذا المنصب، إلا أننا لا نشك أن ذلك كان بأمر من حاكم اليمن آنذاك الملك المنصور عمر بن بت علي بن رسول (٦٢٦ــ٦٤٧هـ/١٢٢٨ــ١٢٤٩م)، نظراً لخضوع مكة لسلطة الرسوليين آنذاك، فضلاً عن أن تأثير العلاقة القوية التي تربط الإمام القسطلاني بهذا السلطان .

وكان منصب شيخ الحرم – والذي يُعْهدُ لصاحبه النظر في مصالح المسجد الحرام وعمارته - من الوظائف التي تسند لمن لديهم قسطاً وافراً من العلم، ولذا فقد تولى هذه الوظيفة عدد من العلماء المجاورين، فكان ممن قام بهذا العمل منهم ؛ يحيى بن ياقوت بن عبد الله الحرمي البغدادي (ت٦١٢هـ/١٢١٥م) [(٤)]، وعلي بن مظفر بن علي ابن نعيم السلامي البغدادي المعروف بابن الحبير (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) [(٥)]،

---

(١) المنذري، التكملة، ج١، ص٣٢٧ ؛ الفاسي، المصدر السابق، ج١، ص٤٣٧ .

(٢) ابن العديم، بغية الطلب، ج٧، ص٣٣١٨ ؛ الفاسي، المصدر السابق، ج٤، ص٣١٦-٣١٧ .

(٣) الفاسي، المصدر السابق، ج١، ص٣٢٣ .

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام (٦١١-٦٢٠هـ)، ص١٢٤ .

(٥) المنذري، التكملة، ج٣، ص٢٤١ ؛ الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص٣٧٢ .

وبشير بن حامد بن سليمان الهاشمي التبريزي (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م) [(١)]، ومنصور بن محمد بن عبد بن عبد الكريم الزعفراني البغدادي المعروف بابن منعة (ت٦٦٤هـ/١٢٦٥م) [(٢)].

وكان تكاثر أعداد المجاورين وتميزهم العلمي آنذاك فرصة هيأت لأصحاب المدارس والأربطة القائمة في مكة – والتي تزايد عددها خلال الفترة التاريخية التي نتحدث عنها، كما أشرنا سابقاً – إسناد بعض وظائفها – خصوصاً التعليمية منها – إلى عدد ممن أثبتوا جدارتهم في شغلها من هذه الفئة . وممن أشارت المصادر إلى قيامه بالتدريس أو الإعادة في بعض المدارس والأربطة المكية من المجاورين – على سبيل المثال ؛ محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن الحسن التوزري القسطلاني وقد تولى تدريس المالكية بمدرسة ابن الحداد بالشبيكة، كما درّس الحديث بالمدرسة المنصورية [(٣)]. و جعفر بن عبد الرحمن بن جعفر الصقلي البجائي (ت٦٤٤هـ/١٢٤٦م) والذي تولى تدريس الحديث بالمدرسة المنصورية أيضاً [(٤)]. و محمد بن أحمد بن علي بن محمد القسطلاني والذي درّس بحضرة والده في مدرسة دار زبيدة بالحرم [(٥)]. والخضر بن عبد الواحد بن علي بن أبي المنى الحلبي الشروطي المعروف

---

(١) الفاسي، المصدر السابق، ج٣، ص٣٧٢.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص١٨٣؛ الفاسي، المصدر السابق، ج٧، ص٢٨٥-٢٨٦ .

(٣) الفاسي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٣١-٢٣٢ .

(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص٤٢٦ .

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٣٢٢ .

بابن السابق وقد تولى تدريس مدرسة زبيدة والمدرسة المظفرية [١]. وصديق بن يوسف بن قريش (ت أخر ق ٦ هـ/ ١٢م) الذي درّس بمدرسة الزنجيلي [٢]. وناصر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حاتم المصري العطار (ت٦٣٤هـ/١٢٣٦م) وكان قد أعاد في مدرسة الأرسوفي [٣]. أما أبو بكر بن عمر بن شهاب الهمذاني (ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م) فقد درّس برباط خاتون في المسجد الحرام [٤].

كما شارك عدد من المجاورين بفعالية في التدريس بالمسجد الحرام، فكانت هناك مجالس ثابتة وحلق متنوعة لعدد منهم، مثل ؛ زاهر ابن رستم الأصبهاني البغدادي ويونس بن يحيى الهاشمي القصار البغدادي ومحمد بن إسماعيل بن أبي الصيف [٥]. وكان الخضر بن عبد الواحد الحلبي الشروطي المعروف بابن السابق يدرس ويفتي في الحرم المكي الشريف [٦]. كما درّس الحديث والقراءات في المسجد الحرام – أيضاً – صالح بن محمود الكرومي الأصبهاني (ت٦٥٧هـ/١٢٥٨م) [٧]. أما أبو بكر بن أبي الفتح السجري فقد عقد عدة مجالس للتدريس قرب

---

(١) ابن العديم، بغية الطلب، ج٧، ص٣٣١٨ .

(٢) الفاسي، العقد الثمين، ج٥، ص٣٩-٤٠ .

(٣) المصدر نفسه، ج٧، ص٣١٦-٣١٧ .

(٤) المصدر نفسه، ج٨، ص١٦-١٧ .

ولمزيد من المعلومات عن هذه المدارس والأربطة بالإمكان الرجوع للمصادر والمراجع التي سبق وأن أحلنا إليها عندما تحدثنا عن انتشار المدارس والأربطة في مكة .

(٥) المراكشي، الذيل والتكملة س٨، ق١، ص٢٠٩-٢١٢ .

(٦) الفاسي، المصدر السابق، ج٤، ص٣١٦ .

(٧) المصدر نفسه، ج٥، ص٢٩-٣٠ .

باب السدة، كان أخرها في شهر شعبان سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م [١].

بيّد أن هناك عدداً من العلماء المجاورين قد فرضوا بتميزهم العلمي وثقافتهم الواسعة أنفسهم في اعتلاء رئاسة بعض العلوم في مكة، فكان ممن تولى منهم رئاسة الفقه والفتوى – والتي كانت تسند لفقهاء المذهب الشافعي – محمد بن مفلح بن أحمد العجيبي (ت قبيل ٦٠٠هـ/١٢٠٣م)، ومحمد بن إسماعيل بن أبي الصيف [٢]. ووفق النسق نفسه تعاقب على الإقراء في مكة عدد من المجاورين أيضا، من أبرزهم ؛ محمد بن عبد الله الشاطبي (ت ٦٣٣هـ/١٢٣٥م)، وكذلك محمد بن عمر بن محمد بن عمر الأنصاري القرطبي (ت٦٣١هـ/١٢٣٣م) [٣].

ونظراً لتكاثر الصوفية [٤] في بلدان العالم الإسلامي آنذاك، وانتشارهم في مكة بشكل ملحوظ، فقد تقلد مشيختهم فيها بعض المجاورين، ومن هؤلاء – مثلاً ؛ خضر بن محمد بن علي الأربلي (ت٦٠٨هـ/١٢١١م) [٥]، وأبو بكر بن عمر بن شهاب الهمذاني [٦].

---

(١) المصدر نفسه، ج٨، ص١٨-١٩ .

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٤١٦ .

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣٧ .

(٤) عن نشأة الصوفية والتصوف وتطورهما، انظر ؛ إحسان إلهي ظهير، التصوف : المنشأ والمصادر، ط١، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ؛ محمد العبده وطارق عبد الحليم، الصوفية : نشأتها وتطورها، ط٢، مكتبة الكوثر، الرياض ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

(٥) المنذري، التكملة، ج٢، ص٢٢٥ .

(٦) الفاسي، العقد الثمين، ج٨، ص١٧ .

جدول توضيحي يبين عدد من تولوا بعض الوظائف والمهام في مكة من المجاورين

الوظيفة أو المهمة	العدد
إمامة مقام إبراهيم	٨
إمامة مقام الحنابلة	٤
إمامة مقام المالكية	٧
إمامة مقام الحنفية	١
الآذان	٣
القضاء	٤
نظر المسجد الحرام وإصلاحاته	٤
التدريس بالمدارس والأربطة	٧

مذاهب المجاورين .

إن تدقيق النظر في أحوال المجاورين، وتتبع اهتماماتهم العلمية، وتكوينهم المعرفي، فضلاً عن الاطلاع على بعض الوظائف والمهام التي تقلدوها، يهدينا إلى معرفة الانتماءات المذهبية لعدد كبير منهم في مكة إبان الفترة التاريخية الممتدة من ٥٧٠ــ٦٦٠هــ/١١٧٤ــ١٢٦١م . ويفضي بنا

البحث في المعلومات الواردة في المصادر – وفق المعطيات السابقة – إلى أن أتباع المذهب الشافعي قد فاقوا بعددهم بقية المجاورين من المذاهب الأخرى، حيث بلغ عددهم آنذاك حوالي سبعة وثلاثين مجاوراً، في حين وصل عدد المعتنقين للمذهب المالكي ما يقارب العشرين مجاوراً، ونصف هذا العدد تقريباً جاور في مكة من الأحناف، في حين بلغ عدد المجاورين من الحنابلة أربعة فقط .

ولا مشاحة أن اتساع نطاق انتشار المذهب الشافعي في العالم الإسلامي، وكثرة المنتمين إليه من العلماء والفقهاء آنذاك [١]، إضافة إلى قيام عدد من المدارس الشافعية في مكة [٢]، فضلاً عن إسناد القضاء وإمامة مقام إبراهيم في مكة للفقهاء الشافعية [٣]، قد أسهم بدرجة كبيرة في زيادة أعداد الشافعية المجاورين في مكة آنذاك . وكان معظم المجاورين من اتباع المذهب الشافعي قد قدموا من مصر والشام والعراق واليمن وبعض بلدان المشرق الإسلامي .

وقد فرض انتشار المذهب المالكي بشكل واسع في بلدان أفريقية والأندلس مجي جميع المجاورين من أتباع هذا المذهب من مصر ومدن المغرب العربي والأندلس . من جهة أخرى فقد أغرت – فيما يبدو – قلة عدد أتباع هذا المذهب في الحجاز بعض العلماء المالكية للمجاورة في

---

(١) الأسنوي، طبقات الشافعية، تحقيق، عبد الله الجبوري . الرياض، دار العلوم ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٣م، ج١، ص٣

(٢) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص١١٧ ؛ فواز بن علي الدهاس، المدارس في مكة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، ص٥٤-٥٥ .

(٣) السبكي، طبقات الشافعية، ج١، ص٣٢٧ ؛ الأسنوي، طبقات الشافعية، ج١، ص٣ .

مكة، ليحضوا بشرف إمامة المقام المخصص لأتباع هذا المذهب في الحرم الشريف، وليفوزوا – أيضاً – بالتدريس في المدارس المعينة له في مكة .

ويبدو أن موقف الإمام أبي حنيفة الكاره للمجاورة – كما سبق وأن بينا – قد أثر سلباً في عدد المجاورين في مكة من أتباع هذا المذهب . وكانت أكثرية الأحناف المجاورين في مكة قد جاءت من بلدان المشرق الإسلامي الذي انتشر فيه فقه هذا المذهب بشكل واسع، كما هو معروف .

أما الحنابلة، فبالرغم من ميل الإمام أحمد بن حنبل للمجاورة واستحبابه لها، إلا أن المصادر قد اكتفت بذكر أربعة منهم فقط، وجميعهم ممن كلفوا من قبل السلطة العباسية بتولي إمامة مقام الحنابلة في المسجد الحرام . ويبدو أن لقلة أعداد المنتمين للمذهب الحنبلي في العالم الإسلامي آنذاك أثر في ندرة المجاورين من أتباع هذا المذهب .

الجدير بالذكر – ونحن نتحدث عن المذاهب بين المجاورين في مكة – أن عدداً كبيراً من اتباع المذهب الصوفي، بلغ عددهم حوالي الثلاثين، قد قدموا مكة وجاوروا فيها، كما أشرنا في حديث سابق. ولكن بدراسة أحوال هذه الفئة التي وصمت – في المصادر – بانتمائها للتصوف، وتتبع سيرهم، نلحظ أن معظمهم كان ممن مال إلى التصوف الإسلامي – إذا أطلقنا مجازاً ذلك اللفظ عليه – والذي يركز على العبادة ويحبذ الزهد والانقطاع عن الدنيا، مع التقشف في المعيشة . ولذا فلا نستغرب أن نرى عدداً من الفقهاء والعلماء المجاورين ممن خدموا العلم الشرعي بجهود مختلفة، قد نسبوا إلى التصوف،

سيما بعض المنتمين منهم للمذهبين الشافعي والمالكي، حيث أشارت المصادر المتاحة إلى أن أكثر من اثنا عشر مجاوراً جمعوا بين الفقه الشافعي والميل إلى التصوف [١]، في حين ذكرت هذه المصادر انتماء اثنين على الأقل من الفقهاء المالكية للمذهب الصوفي [٢]. ولا ينفي ما ذكرنا وجود عدد أخر من المجاورين ممن انحرفوا عن المنهج الإسلامي السوي، وشطوا عن الطريق الصحيح، واشغلوا المسلمين بنظرياتهم الزائفة، وشطحاتهم المتنوعة، سيما وأن مثل هؤلاء من أصحاب الأفكار المنحرفة يجدون مكة فرصة لالتقائهم، وبث سمومهم، ونشرها على نطاق واسع. ولذا فقد جاور فيها عدد من دعاتهم المشهورين [٣]وأتباعهم، كما نلحظ أن هؤلاء المتصوفة قد نجحوا في تدريس بعض مصنفاتهم، بل وممارسة بعض طرقهم وطقوسهم في مكة [٤]، سيما وقد وجدوا دعماً لهم من بعض الحكام في مكة آنذاك [٥].

---

(١) المنذري، التكملة، ج١، ص١٧٩ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٥، ص٥٢ ؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق، محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو، ط٢، بيروت، دار هجر ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج٨، ص٣٢٤ـ٣٢٥ ؛ الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص٣٩٣، ج٣، ص٨٥ـ٨٦، ج٤، ص٤٢٦ـ٤٢٧، ج٥، ص٤٩٤، ج٦، ص٣٦٢ـ٣٦٣، .

(٢) الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص١٠٦ـ١٠٧ ؛ .

(٣) وممن جاور أو نزل في مكة من كبار دعاة التصوف، خضر بن محمد بن علي الأربلي الصوفي، ومحمد بن علي بن محمد بن أحمد الأندلسي المرسي المعروف بابن العربي، وعبد الحق بن إبراهيم المرسي المعروف بابن سبعين (ت٦٦٩هـ/١٢٧٠م) وغيرهم .

(٤) المنذري، التكملة، ج٣، ص٣٨٠ـ٣٨١ ؛ الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص٤٢٥، ج٥، ص٢٠١ ؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢، ص٤٠٥ .

(٥) الفاسي، المصدر السابق، ج٢، ص٤٠١، ج٥، ص٣٢٩ .

اهتمامات المجاورين ونشاطاتهم العلمية .

بالرغم من تنوع ثقافات المجاورين واختلاف مشاربهم العلمية إلا أن قدسية المكان وشرفه قد حصرت اهتماماتهم بشكل كبير على العلوم الشرعية بفروعها المتعددة، مع ما يرتبط بها من علوم ومعارف إسلامية أخرى، مثل علوم اللغة العربية وآدابها، أو السيرة النبوية والتاريخ.

وفي عملية إحصائية تقريبية، مبنية على ما أمدتنا به المصادر من معلومات، مع ما توصلنا إليه من خلال البحث في سير المجاورين العلمية، فضلا عن الاطلاع على إنتاجهم الفكري، نستطيع أن نؤكد أن عدداً كبيراً من المجاورين آنذاك كان ممن ركز عنايته وتحصيله على الحديث النبوي، سواء منهم من اختص بالحديث فقط، أو أولئك الذين مدوا جهودهم ليشركوا مع العناية بالحديث الاهتمام بعلوم أخرى . وقد بلغ عدد من ركزوا على دراسة الحديث فقط – وفق ما ألفيناه من مصادر معلوماتنا التي أشرنا إليها آنفاً – أكثر من خمسين مجاوراً . ونصف هذا العدد من المجاورين تقريباً كانوا ممن جمع بين العناية بالحديث والاهتمام بالفقه، وحوالي عشرة آخرين عنوا بالقرآن وعلومه مع عنايتهم بالحديث، بينما زاد عدد من عُني بالعلوم السابقة جميعا – وهي الحديث والفقه وعلوم القرآن – على الستة مجاورين، بيّد أن هناك عدد أخر جمع العناية بالحديث مع الاهتمام بعلوم أخرى، مثل السيرة النبوية والتاريخ، أو اللغة العربية وآدابها، أو غير ذلك .

وقد تخصص في علم الفقه فقط حوالي تسعة من المجاورين، انتموا في مجملهم إلى مذاهب فقهية سنية مختلفة، ويضاف إليهم آخرون

من العلماء الذين جمعوا بين الفقه وبعض العلوم الأخرى . أما علوم القرآن فقد ركّز عليها حوالي خمسة أشخاص، كما عُني بهذا العلم آخرون من المحدثين أو الفقهاء وغيرهم .

ومن المجاورين من توسع في اكتساب العلوم وتبحر في عدد منها حتى أصبح – بما يحمله من معارف متفرقة، وفنون مختلفة، جمعها بمرور الزمن – موسوعة علمية ضمت عدد من التخصصات، وقد جاور من هؤلاء الفطاحل – ممن سنتعرف عليهم من خلال الحديث عن اهتمامات العلماء العلمية – أكثر من عشرة أشخاص، أثروا بجهودهم النشطة وعلومهم المتعددة الحياة العلمية في مكة، وشاركوا أكثر من غيرهم بنصيب وافر في تقدمها وازدهارها آنذاك .

وفي الصفحات التالية سوف نستعرض – بإيجاز مركز – العلوم التي استقطبت اهتمامات العلماء المجاورين، وجهود هؤلاء العلماء العلمية فيها، مع الإشارة لأبرز من عُنوا منهم بكل علم من هذه العلوم .

١ – علوم القرآن .

نالت علوم القرآن الكريم المختلفة – سواء كانت القراءات [1] والتجويد أو التفسير - حظاً وافر من جهود المجاورين الذين

---

(١) **القراءات :** " علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة " (ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ٣) . وقال محمد عبد العظيم الزرقاني عن تعريف القراءة في الاصطلاح أنها : " مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء كانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها . (مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، جـ١ ص ٤١٢) .

قـدموا إلى مكـة وهـم يحملـون معهـم رصـيداً علميـاً اكتـسبوه مـن مناهلـه الأصـلية في هـذا المجـال العلمـي . وقـد انـصبت مـشاركة العلمـاء المجـاورين في تـدريس القـرآن الكـريم وتجويـده، وتعلـيم القـراءات القرآنيـة المختلفـة وتأهيـل الطـلاب لمعرفتهـا وتطبيقهـا ، إضـافة للقيـام بتفـسير القـرآن الكـريم، فـضلاً عـن المـشاركة الفاعلـة بـبعض المـصنفات المختـصة بهـذه العلـوم . ويكـشف إسـناد إمامـة المقامـات الدينيـة في المـسجد الحـرام آنـذاك – كمـا رأينـا سـابقاً – لحـوالي عـشرين مجـاوراً مـدى اهتمـام المجـاورين بـالقرآن وعلومـه، كمـا يبـيّن ذلـك أثـرهم في دعـم هـذا الجانـب، خـصوصاً وأن هـذه المهمـة لا تـسند إلا للمـؤهلين ممـن لهـم معرفـة تامـة بتجويـد القـرآن الكـريم وإدراك معانيـه وأحكامـه . مـن جانـب أخـر فـإن تـولي بعـض المجـاورين رئاسـة الإقـراء في المـسجد الحـرام – كمـا ألمحنـا إلى ذلـك في حـديث سـابق – ليؤكـد مكانـة المجـاورين وأثـرهم في علـوم القـرآن في مكة حينذاك .

وكـان مـن أبـرز مـن عُـني مـن المجـاورين بـالقراءات القرآنيـة ؛ نـصر ابـن محمـد بـن علـي النهاونـدي البغـدادي المعـروف بالحـصري إمـام مقـام الحنابلـة في المـسجد الحـرام، وأحـد الأئمـة المعتـبرين في علـوم القـرآن [١]، وقـد تتلمـذ الحـصري علـى عـدد مـن العلمـاء، وبعـد تأهلـه العلمـي بـذل نفسه للطـلاب فاسـتفادوا منـه كـثيراً في القـراءات القرآنيـة بـصفة خاصـة، سـيما بعـد اسـتيطانه مكـة، حيـث عـاش فيهـا أكثـر مـن عـشرين سـنة [٢]. وقـد

---

(١) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج٢، ص١٣٠-١٣٢ .

(٢) المنذري، التكملة، ج٣، ص٦٩-٧٠ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٧، ص٥٣ ؛ الفاسي، العقد الثمين، ج٧، ص٣٣٢-٣٣٤ .

أشار ابن النجار إلى عنايته بهذا العلم ونشره، فقال [١]: " ولم يزل يُسمع ويقرأ إلى أواخر عمره، سمعنا منه وبقراءته، وكان يقرأ قراءة صحيحة، إلا أنه كان يدغمها بحيث لا تفهم " .

وممن لهم باع طويل في هذا العلم من المجاورين – أيضاً – علي ابن عبد الله بن حمود المكناسي وكان ممن تصدر للتدريس، وتخرج على يديه في مجال القراءات عدد من طلبة العلم [٢]. ومبارك بن علي بن الحسين البغدادي المعروف بابن الطباخ الذي نزل مكة، وأم فيها بمقام الحنابلة، وكانت له عناية بالقراءات القرآنية، وعلى يديه تخرج العديد من طلبة العلم من المكيين وغيرهم [٣]. والحسن بن محمد بن الحسن الأنصاري البلنسي، المعروف بابن الرهبيل (ت٥٨٥هـ/١١٨٩م) وكان من الأندلسيين الذين جاوروا في مكة، وقد درس القراءات قبل مجيئه إليها، وعُني كثيراً بتدريس كتاب التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني المقرئ المعروف [٤]. ومحمد بن أحمد بن الحسن بن بندار السجزي المعروف بجوبكار (ت بعد ٥٩٨هـ/١٢٠١م) وهو شيخ صالح، جاور في مكة حتى توفي فيها، وكان يقرئ فيها قراءة

---

(١) الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار، تحقيق، محمد مولود خلف، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٤١٠-٤١١ .

(٢) المراكشي، الذيل والتكملة، س٥، ق١، ص١٢٢ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (٦١١-٦٢٠هـ)، ص٢١٢ .

(٣) المنذري، التكملة، ج٢، ص٣٢٦ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (٦١١-٦٢٠هـ)، ص٩٥-٩٦ ؛ ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج١، ص٣٤٦ .

(٤) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص٢١١-٢١٢ .

حفص [1] عن عاصم [2]، وعنه أخذ هذه القراءة الكثير من الطلاب، كما فازوا بروايتها عنه بعد إجازة [3] ذلك لهم [4]. وزاهر ابن رستم الأصبهاني البغدادي الذي جاور في مكة، وأم بها في مقام إبراهيم حتى كبر سنه وعجز، وهو أحد كبار القراء المشهورين في مكة [5]، وكان – كما قال ابن نقطة – ثقة صحيح السماع والقراءات [6]. وصالح بن محمود بن محمد الكرومي الأصبهاني وكان أحد العلماء الذين جاورا في مكة حتى الوفاة، ويُعد أحد المقرئين

(1) هو أبو عمر حفص بن سليمان الغاضري الأسدي الكوفي، أحد أشهر من روى القراءة عن عاصم بن أبي النجود، وهو ثقة ثبت في القراءة. توفي سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م. (الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق، بشار عواد معروف ورفاقه، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج١، ص١٤٠-١٤١).

(2) هو عاصم بن أبي النجود الأسدي الكوفي، أحد القراء السبعة المشهورون، وأحد أئمة التابعين، روى عنه الكثير من طلبة العلم، خصوصاً في مجال اقراءات. توفي سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م. (الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج١، ص٨٨-٩٤).

(3) الإجازة: مشتقة من التَجَوُّز، وهو التعدي، فكأنه عدى روايته حتى أوصلها للراوي. (محمد جمال القاسمي، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، تحقيق وتعليق، محمد بهجة البيطار، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د، ت)، ص ٢٠٥) واستجاز، طلب الإذن، (الفيروزابادي، القاموس المحيط، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م، ص٦٥٢، " مادة جاز "). وتُعد - في كثير من الأوساط العلمية - بمثابة الدرجة العلمية التي ينالها طالب العلم اليوم. (محمد عبد اللطيف الفرفور، أدب الإجازات عند علماء المسلمين، مجلة الفيصل، عدد (٧٩) ١٤١٤هـ، ص ٦٩).

(4) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص٢٩٠-٢٩١.

(5) الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج٢، ص٥٩٩؛ الفاسي، المصدر السابق، ج٤، ص٤٢٦-٤٢٧؛ ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره، برجستراسر، ط٣، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ج١، ٢٨٨.

(6) التقييد، ج١، ص٣٣٢.

بالقراءات السبع المشهورة [١]، وفي مكة درّس القراءات، وأجاز لعدد من الطلاب فيها [٢].

وممن أشارت المصادر إلى تمكنهم من القراءات وعنايتهم بها من المجاورين – أيضاً ؛ علي بن حميد بن عمار الأطرابلسي (ت٥٧٦هـ/١١٨٠م) [٣]، ومحمد بن عبد الله بن سليمان الأنصاري البلنسي [٤]، ومحمد بن عبد العزيز بن الحسين التميمي السعدي المعروف بابن الحباب (ت٦٠٥هـ/١٢٠٨م) [٥]، وسليمان بن شاذي بن عبد الله الأزجي البغدادي [٦]، وبطال بن أحمد بن سليمان الركبي [٧]، وعلي بن أحمد بن عبد الله بن حيزة البلنسي (ت٦٣٤هـ/١٢٣٦م) [٨]، وعلي بن الحسين بن علي بن منصور البغدادي الأزجي النجار

(١) تنسب القراءات السبع المشهورة عند المسلمين إلى أئمة القراءات وهم : نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، وعبد الله بن كثير الداري، وعاصم بن أبي النجود، وحمزة بن حبيب الزيات، وعلي بن حمزة الكسائي، وأبو عمرو بن العلاء، وعبد الله بن عامر اليحصبي . انظر، (ابن مجاهد، السبعة في القراءات، تحقيق، شوقي ضيف . ط٢، القاهرة، دار المعارف ١٤٠٠هـ، ص٥٣ – ٨٧) .

(٢) الفاسي، العقد الثمين، ج٥، ص٢٩-٣٠ .

(٣) المصدر نفسه، ج٦، ص١٥٦ .

(٤) المراكشي، الذيل والتكملة، س٦، ص٢٨٢ .

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام (٦٠١-٦١٠هـ)، ص١٨٧-١٨٨ .

(٦) الفاسي، العقد الثمين، ج٤، ص٦٠٦ .

(٧) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٧٦ .

(٨) المراكشي، الذيل والتكملة، س٥، ق١، ص١٦٠-١٦٢ .

(ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م) [(١)]، وعبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز القوصي (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م) [(٢)]، وجعفر بن عبد الرحمن بن جعفر الصقلي البجائي [(٣)]، وغيرهم .

الجدير بالذكر أن عدداً من العلماء المجاورين قد أثبتوا جدارتهم في علوم القرآن، ونجحوا في تولي ذلك المنصب الثابت الذي خصص للإقراء في المسجد الحرام – كما بينا سابقاً، ومنهم نزيل مكة محمد ابن عبد الله الشاطبي، ومحمد بن عمر بن محمد الأنصاري القرطبي وكان كثير المجاورة في مكة، وخلف الشاطبي في تولي مجلس الإقراء في المسجد الحرام [(٤)].

أما علم التفسير فكانت دراسته وتدريّسه والتصنيف فيه محل عناية عدد أخر من المجاورين في مكة، والذين شاركوا مشاركة فاعلة في هذا العلم حتى كانوا حملة لوائه فيها، في ظل ندرة المهتمين به من المكيين آنذاك، ومن هؤلاء – على سبيل المثال – عمر بن محمد بن عبد الله القرشي السهروردي المعروف بعمويه (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م)، والذي درّس في مكة بعض مصنفاته، وكان منها كتاب في التفسير بعنوان : " بغية البيان في تفسير القرآن " [(٥)]. وبشير بن حامد بن سليمان الهاشمي

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢١، ص٢٤ـ٢٥ .

(٢) المصدر نفسه، ج١٨، ص١٥٤ .

(٣) الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص٤٢٦ .

(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٣٧ـ٢٣٨ .

(٥) المنذري، التكملة، ج٣، ص٣٨٠ـ٣٨١ ؛ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، بيروت، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م، ج٧، ص٣١٢ .

التبريزي شيخ الحرم، والذي جاور في مكة حتى توفي فيها . وكان ممن درّس التفسير في مكة (١)، وله تصنيف فيه بعنوان : " الغُنْيان في تفسير القرآن العظيم "، يقع في عدة مجلدات (٢). ومحمد بن عبد الله بن محمد المرسي السلمي وهو ممن عُني بعلوم القرآن الكريم حتى برع فيها (٣)، وألف ثلاثة تفاسير للقرآن ؛ منها تفسير كبير في عشرين سفراً، ومتوسط في عشرة أسفار، وصغير في ثلاثة أسفار (٤). وكان محمد بن إبراهيم بن أحمد بن طاهر الفارسي ممن جاور في مكة أكثر من مرة، وهو من المهتمين بتفسير القرآن الكريم (٥).

أما علي بن محمد بن محمد الخزرجي الأشبيلي المعروف بالحصار والذي رحل من الأندلس إلى المشرق الإسلامي، وجاور في مكة حتى وافته المنية بها، فكان من المشتغلين دراسة وتدريساً بعلوم القرآن الكريم، والمصنفين في علومه، والمفيدين للطلاب في هذا المجال العلمي،

---

(١) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص٣٢١-٣٢٢ .

(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٧٢ .

(٣) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٧٦-٧٧ ؛ الدمياطي، المستفاد من تاريخ بغداد، ص٩٨ .

(٤) الفاسي، المصدر السابق، ج٢، ص٨٢ . ويقول حسن الوراكلي حول هذا التفسير وتقسيمه : " وليس بين أيدينا من معلومات عن هذا التفسير أكثر مما ذكرنا . بيد أننا نستطيع أن نضيف إلى هذه الإشارة التي نتعزز بها - في تصورنا - فاعلية المساهمة الأندلسية في حياة مكة العالمة، وهي أن تقسيم هذا التفسير على المستويات المشار إليها كان - فيما نقدر - ثمرة وفرة وتعدد مستويات الطلاب الذين كانوا يجلسون إلى مؤلفه في حلقة التفسير، وهو - أي التقسيم - دال، مثلما هو دال في غيره من الكتب المقسمة أو المجزأة، على نحوه - شرعية كانت أو أدبية - على شيوع الكتاب وانتشاره في مختلف أوساط الطلاب والمتعلمين " . (المجاورون الأندلسيون، ص٣٢٦-٣٢٦) .

(٥) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص٣٩٣ .

ومن أبرز مصنفاته في هذا الجانب ؛ كتاب الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، وكتاب البيان في تنقيح البرهان [١].

٢ـ الحديث وعلومه:

بيّنا في بداية حديثنا عن تخصصات المجاورين واهتماماتهم العلمية مدى حرص هؤلاء على تتبع الحديث النبوي، وكيف استقطب هذا العلم عدداً كبيراً ممن راموا المجاورة في مكة خلال الفترة التاريخية التي نتحدث عنها، بل أن ما بُذل من هؤلاء في خدمة الحديث وعلومه قد فاق ما قُدم منهم لغيره من العلوم الأخرى .

وفي إنعام النظر في نشاط هؤلاء المجاورين وجهودهم العلمية الموجهة لخدمة الحديث النبوي وعلومه في مكة – والتي تنوعت لتشمل دراسة هذا العلم، وتدريسه، وتتبع مروياته وجمعها، والتنقيب في متونها وأسانيدها – وصولاً إلى أن عدداً كبيراً منهم كانوا من أئمة الحديث وحفاظه المعروفين، كما أن في هذا النظر – أيضاً – كشف للحضور القوي والمتميز لهؤلاء العلماء في هذا المجال، وإدراك لمدى تمكنهم من الرواية والدقة في إيرادها، فضلاً عما فيه من اطلاع على تبحرهم في علوم الحديث المتنوعة . وفي كل ما سبق تأكيد على أصالة ما يحمله أولئك المجاورين في هذا العلم، ومتانة القواعد التي اتكأوا عليها في تلقيه وروايته . ولا غرو فقد أسهمت هذه الجهود المبذولة من قبل العلماء المجاورين آنذاك في تطور علم الحديث في مكة، وتزايد الإقبال عليه في

(١) المراكشي، الذيل والتكملة، س٨، ق١، ص٢١٢ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (٦١١ـ٦٢٠هـ)، ص٧٦ .

أوساط المتعلمين فيها، كما كانت هذه الجهود خير متكأ أستند عليها طلبة العلم المكيين، والذين أصبحوا – فيما بعد – عماد الحياة العلمية التي نشطت بشكل كبير خلال العصر المملوكي (١).

وكان من أبرز المجاورين الذين شاركوا بنصيب وافر في إثراء دراسة الحديث النبوي بجوانبه المختلفة في مكة، وكرسوا جهودهم في سبيل تفعيلها وتعميقها، كل من ؛ مبارك بن علي بن الحسين البغدادي المعروف بابن الطباخ أحد الأئمة الحفاظ المجاورين في مكة، والذي وصفه ابن رجب بقوله (٢): " إمام الحنابلة بالحرم، محدث حافظ . سمع الكثير ببغداد . ... وعني بالطلب . وسمع الكثير، وقرأ بنفسه، وكتب بخطه، وكان صالحاً ديناً ثقة . وهو كان حافظ الحديث بمكة في زمانه، والمشار إليه بالعلم بها . حدث وسمع منه خلق " . وعلي بن حميد بن عمار الأطرابلسي وكان ممن أكثر رواية كتاب صحيح البخاري بعد أن انفرد به بسند عالي، وعنه رواه جماعة من طلبة العلم في مكة (٣). وعمر بن عبد المجيد بن عمر بن حسين العبدري المعروف بالميانشي نزيل مكة وشيخها وخطيبها، وكانت له عناية بدراسة الحديث وتدريسه، والتصنيف فيه، وعليه تتلمذ الكثير من طلبة العلم في الحديث النبوي بعد أن عُني بتدريس بعض كتب الحديث خصوصاً كتاب جامع الترمذي (٤).

(١) للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع، انظر ؛ صالح يوسف معتوق، علم الحديث في مكة المكرمة خلال العهد المملوكي، (رسالة دكتوراه) كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى ١٤٠٧هـ .

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة، ج١، ص٣٤٦ .

(٣) الفاسي، العقد الثمين، ج٦، ص١٥٦ ؛ المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٥١٠ .

(٤) الفاسي، المصدر السابق، ج٦، ص٣٣٤-٣٣٦ ؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢، ص٣٤٨ .

وعبد المنعم بن عبد الله الصاعدي الفراوي النيسابوري (ت٥٨٧هـ/١١٩١م) وكان من بيت علم مشهور برواية الحديث [(١)]، وإليه انتهى علو الإسناد، فكان مُسند خراسان في وقته [(٢)]، وقد درّس هذا الإمام في مكة بعض كتب الحديث المشهورة بإسناد عالي، مثل صحيح البخاري وصحيح مسلم، وعليه تتلمذ عدد من طلبة العلم فيها [(٣)]، كما درّس الفراوي كتابه الذي جمعه في الحديث بعنوان " الأربعين " [(٤)]. ومحمد بن عبد الله ابن الحسين الهروي الأشكيذباني والذي حط رحاله في مكة مستوطناً فيها، بعد رحلات علمية، سمع خلالها على عدد من العلماء في همدان وبغداد ومصر [(٥)]، وقد أمّ بعد قدومه إلى مكة في مقام الحنابلة في المسجد الحرام، كما حدث فيها بالكثير [(٦)]. وجعفر بن محمد بن آموسان الأصبهاني الملنجي (ت٦٠٧هـ/١٢١٠م) وكانت لديه عناية تامة بالحديث ومعرفة به، وقد عُرف بالإكثار من رواية الحديث، مع الفطنة والتيقظ أثناء ذلك، كما كانت له رغبة جامحة في كتابة الحديث والحصول على كتبه المهمة، وكان قد قدم مكة بعد تأهله العلمي،

---

(١) المنذري، التكملة، ج١، ص١٥٩ .

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مجموعة من المحققين، إشراف، شعيب الأرناؤوط، ط٧، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ج٢١، ص١٧٩ .

(٣) المنذري، المصدر السابق، ج١، ص١٥٩ ؛ الفاسي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٣٧ ؛ المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٥٠٩ .

(٤) الفاسي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٣٧ .

(٥) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج١، ص٣٨١-٣٨٢ .

(٦) المنذري، التكملة، ج١، ص٢١٤ ؛ الفاسي، المصدر السابق، ج٢، ص٥٢ .

ومنه استفاد عدد كبير من الطلاب فيها [(١)]. ويونس بن يحيى الهاشمي القصار البغدادي إمام مقام إبراهيم بالحرم، والذي يُعد من أبرز العلماء المحدثين الثقات [(٢)]، وكان اهتمامه قد انصبّ كثيراً على تدريس كتاب صحيح البخاري وروايته، وقد أكثر الطلاب في مكة أخذه عنه [(٣)]. وزاهر بن رستم الأصبهاني البغدادي والذي عرف بثقة روايته وصحة سماعاته، وقد حدث في بعض الأمصار، وعليه تتلمذ في الحديث النبوي – بعد أن استقر في مكة - الكثير من الطلاب المكيين والوافدين. وعبد الوهاب بن علي بن علي بن عبيد الله بن سكينة (ت٦٠٩هـ/١٢١٢م) مسند العراق ومحدثه وشيخ وقته في علو الإسناد والمعرفة والإتقان، وقد جاور في مكة، وحدّث فيها وفي غيرها، وكتب بخطة الكثير من الحديث [(٤)]. وعلي بن المفضل بن علي بن مفرج اللخمي المقدسي (ت٦١١هـ/١٢١٤م) وكان ممن جاور في مكة وحدث فيها، وهو إمام محدث حافظ، وله بعض المصنفات في الحديث [(٥)]، منها؛ كتاب في الصيام، وكتاب الأربعين المرتبة على طبقات

---

(١) المنذري، المصدر السابق، ج٢، ص١٩٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (٦٠١-٦١٠)، ص٢٣١.

(٢) ابن نقطة، التقييد، ج٢، ص٣١١.

(٣) المراكشي، الذيل والتكملة، س١، ص٣٧٦، س٥، ق٢، ص٤٧٢-٤٧٣، ٥٣٥؛ الفاسي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٩١، ج٦، ص١٤٤، ج٧، ص٥٠٠-٥٠١، ج٨، ص٨.

(٤) المنذري، المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٩، ص٢٠٦-٢٠٧؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص٣٢٤-٣٢٥.

(٥) المنذري، المصدر السابق، ج٢، ص٣٠٦-٣٠٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (٦١١-٦٢٠)، ص٧٧-٧٩؛ تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٣٩٠-١٣٩٢.

الأربعين [١]. ومحمد بن محمد بن أبي القاسم الأصبهاني الملنجي القطان (ت٦١٢هـ/١٢١٥م) وهو أحد العلماء الحفاظ المكثرين لرواية الحديث، قال عنه الذهبي [٢]: " كان محدثاً مكثراً، حافظاً متودداً، مكرماً للطلبة، ذا مروءة، سهلاً في إعادة أصوله، محباً للرواية، واسع الصدر ". ومحمد بن عبد الله بن موهوب بن جامع البغدادي المعروف بابن البنا (ت٦١٢هـ/١٢١٥م) وكان ممن جاور في مكة، وحدث فيها كثيراً، حيث كان محباً لرواية الحديث [٣]. وعبد العزيز بن الحسين بن عبد العزيز اللخمي الأندلسي (ت٦١٧هـ/١٢٢٠م) الذي سمع الكثير في الأندلس ومكة وبغداد وواسط وأصبهان ونيسابور وغيرها . وحدث بالشام والحجاز والعراق، وهو أحد العلماء المحدثين الحفاظ الثقات، ومن المكثرين لرواية الحديث النبوي [٤].

ومن المحدثين ممن جاوروا في مكة – أيضاً – نصر بن محمد بن علي النهاوندي البغدادي المعروف بالحصري أحد الأئمة المحدثين الحفاظ، سمع الحديث على عدد كبير من المحدثين على عدد من العلماء حتى صار من حفاظه [٥]، قال عنه ابن النجار : " كان من حفاظ الحديث العارفين بفنونه، منقباً، ضابطاً، غزير الفضل، كثير

(١) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج٧ ص٢٤٤ .

(٢) تاريخ الإسلام (٦١١-٦٢٠هـ)، ص١١٩ .

(٣) المنذري، المصدر السابق، ج٢، ص٣٥٤ ؛ الذهبي، المصدر السابق (٦١١-٦٢٠)، ص١١٥-١١٦ .

(٤) المنذري، المصدر السابق، ج٣، ص٢١-٢٢ ؛ الذهبي، المصدر السابق (٦١١-٦٢٠هـ)، ص٣١٧ .

(٥) المنذري، المصدر السابق، ج٣، ص٦٩-٧٠ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٧، ص٥٣ ؛ الفاسي، العقد الثمين، ج٧، ص٣٣٢-٣٣٤ .

المحفوظ، ثقة، صدوقاً، حجة، نبيلاً، من أعلام الدين، وأئمة المسلمين " (١)، وقد حدّث كثيراً في مكة، ومنه سمع خلق كثير من الأئمة والحفاظ (٢)، وكان مما حدث به كثيراً كتاب مسند الشافعي وسنن أبي داود وسنن النسائي (٣). وعلي بن محمد بن أحمد الحضرمي المعروف بأبي حديد الذي جاور في مكة أخر عمره، وكان من أبرز المحدثين الحفاظ في بلاد اليمن في عصره، بحيث لم يكن له نظير في معرفة الحديث فيها آنذاك (٤). وعلي بن نصر بن المبارك الواسطي البغدادي المعروف بابن البناء (ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م) وكان ممن عُني بسماع الحديث النبوي وروايته، وحدث بالقاهرة والإسكندرية وقوص ودمياط، كما حدث في مكة، وعنه أخذ الحديث خلق كثير، سيما كتاب جامع الترمذي الذي ركّز كثيراً على تدريسه (٥). وعبد المحسن بن أبي العميد بن خالد الأبهري الحفيفي أحد حفاظ الحديث المتقنين لروايته، وكان قد رحل في طلب العلم فسمع بهمدان وبغداد وأصبهان ودمشق والقاهرة والإسكندرية ومكة، وحدث بعد تأهله العلمي في عدد من

---

(١) الدمياطي، المستفاد من تاريخ بغداد لابن النجار، ٤١٠-٤١١ .

(٢) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج٢، ص١٣٠-١٣٢ .

(٣) ابن نقطة، التقييد، ج١، ص١٠٧، ج٢، ص٢٨١-٢٨٢ ؛ الفاسي، العقد الثمين، ج٦، ص١٣٦-١٣٧ .

(٤) الجندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق، محمد بن علي الأكوع الحوالي، صنعاء، وزارة الإعلام والثقافة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ج٢، ص١٣٦-١٣٧ ؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ليدن، مطبعة بريل ١٩٣٦م، ص١٥٧ .

(٥) المنذري، التكملة، ج٣، ص١٤١ ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٢، ص٢٤٧-٢٤٨ ؛ تاريخ الإسلام (٦٢١-٦٣٠)، ص١١٠-١١١ .

الأمصار ومنها مكة، بعد أن جاور فيها في أخر عمره، وبقي على ذلك حتى مات في مكة [(١)]، وقد منح خلال ذلك إجازات علمية لطلابه في مكة ومنهم الإمام عبد العظيم المنذري [(٢)]. وعبد العزيز بن محمود بن عبد الرحمن المعروف بالعصار (ت ٦٢٧هـ/١٢٢٩م) الذي جاور في مكة مدة، وكان ممن اشتغل بعلم الحديث، وأقبل عليه إقبالاً كثيراً، وكتب بخطه كثيراً من الأحاديث، واختصر كتاب " الجمع بين الصحيحين للحميدي " [(٣)]. وبطال بن أحمد بن سليمان الركبي الذي قدم من اليمن إلى مكة بعد أن أتقن بعض العلوم ومنها الحديث النبوي، وقد جاور في مكة أربع عشرة سنة، وصنف بعض الكتب في الحديث، ومنها ؛ الأربعون المستخرجة من أحاديث الحسان الصحاح الجامعة لما يستحب درسه عند المساء والصباح، وأربعون في لفظ الأربعين، وشرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري [(٤)].

ومنهم – أيضا – ناصر بن عبد الله بن عبد الرحمن المصري العطار وكان ممن حط الرحال في مكة في فترة مبكرة من عمره، وسمع فيها على مجموعة من العلماء البارزين، وقد حدث بعد تأهله

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام (٦٢١-٦٣٠هـ)، ص١٨٣-١٨٤ ؛ الفاسي، العقد الثمين، ج٥، ص٤٩٤ .

(٢) المنذري، المصدر السابق، ج٣، ص٢٠٠ ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٢، ص٢٤٧-٢٤٨ ؛ تاريخ الإسلام (٦٢١-٦٣٠)، ص١١٠-١١١ .

(٣) المنذري، المصدر السابق، ج٣، ص٤٦٤ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (٦٢١-٦٣٠هـ)، ص٢٦٣ .

(٤) الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص٣٧٦ ؛ عبد الله محمد الحبشي، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، بيروت، المكتبة العصرية ١٤٠٨هـ، ص٤٣ .

بصحيح البخاري، كما كتب الإجازات العلمية للطلاب [(١)]. ومحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن السلمي الدمشقي المعروف بابن سيده (ت٦٣٧هـ/١٢٣٩م) وهو من بيت علم مشهور بدراسة الحديث النبوي وروايته [(٢)]، وكان ممن طلب الحديث في بلاد الشام ومصر، وسمع خلال ذلك الكثير على عدد من العلماء، كما كتب الكثير جداً في هذا المجال، وقد جاور بمكة سنوات عديدة، وأفاد الكثير من الطلاب من خلال عنايته بتدريس الحديث فيها [(٣)]. وأحمد بن محمد بن مفرج الأموي الأشبيلي، المعروف بالعشاب وبابن الرومية (ت٦٣٧هـ/١٢٣٩م) وكان ممن رحل من الأندلس للحج سنة ٦١٢هـ/١٢١٥م، وبعد حجه أقام مجاوراً في مكة بضع سنوات، ويُعد ابن الرومية من العلماء المجيدين للحديث النبوي رواية ودراية، وله عدد كبير من المؤلفات في الحديث وعلومه، ومنها ؛ رجالة المعلم بزوائد البخاري على مسلم، ونظم الدراري فيما تفرد به مسلم عن البخاري، وتوهين طرق حديث الأربعين، واختصار الكامل في الضعفاء والمتروكين لابن عدي، وغيرها [(٤)]. وجعفر بن عبد الرحمن بن جعفر الصقلي البجائي نزيل مكة، وكان أحد رجال علم الحديث الذين تولوا تدريسه في المدرسة المنصورية

---

(١) المنذري، المصدر السابق، ج٣، ص٤٦٢ ؛ الفاسي، المصدر السابق، ج٧، ص٣١٦-٣١٧ .

(٢) المنذري، المصدر السابق، ج٣، ص٥٢٣ ؛ أبو شامة المقدسي، تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف بالذيل على الروضتين، تحقيق، عزت العطار الحسني، ط٢، بيروت، دار الجيل ١٩٧٤م، ص١٦٨ .

(٣) المنذري، المصدر السابق، ج٣، ص٥٢٣ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٣، ص٢٨١ .

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق، محمد عبد الله عنان. ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٥م، ج١، ص١٠٧-١١٢ .

بمكة، وعليه تتلمذ بعض طلبة العلم فيها [١]. والحسن بن علي بن محمد الواسطي المعروف بابن ميجال الطبيب (ت٦٥١هـ/١٢٥٣م) وكان من العلماء الذي استوطنوا مكة، وفيها درّس مسند الإمام أحمد بن حنبل، وعنه تلقاه عدد من أبناء مكة والوافدين إليها، كما حصلوا على إجازات علمية منه لرواية هذا الكتاب المهم [٢]. ومحمد بن عبد الله بن محمد المرسي السلمي أحد أئمة الحديث النبوي وحفاظه، دأب كثيراً على تدريس الحديث خصوصاً كتاب صحيح ابن حبان، كما اختصر كتاب صحيح مسلم في سفرين [٣]. ومحمد بن محمود بن محمد بن حسن الخوارزمي (ت٦٥٥هـ/١٢٥٧م) الذي جاور في مكة بعد أن درَس في خوارزم وبغداد، وله مصنف في الحديث جمع فيه زوائد مسند الإمام أبي حنيفة النعمان [٤]. وصالح بن محمود الكرومي الأصبهاني وهو ممن حدث في مكة بعد استيطانه بها، وعلى يديه تخرج الكثير من طلبة العلم، بعد أن أجازهم بالرواية والتدريس [٥]. ومحمد بن عمر بن محمد ابن عمر بن الحسن التوزري القسطلاني إمام للمالكية بالحرم المكي الشريف، وكان قد قدم لمكة قبل سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م، ودرّس الحديث بالمدرسة المنصورية بمكة [٦]. وعبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن

(١) الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص٤٢٦ .

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٢، ص١٠٠ ؛ الفاسي، المصدر السابق، ج٤، ص١٦٣ .

(٣) الفاسي، المصدر السابق، ج٢، ص٥٩، ٨٢، ٢٤٥، ج٣، ص١٨، ٥٨ .

(٤) القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق، عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ج٣، ص٣٦٥ .

(٥) الفاسي، المصدر السابق، ج٥، ص٢٩-٣٠ .

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣١ .

ابن عساكر الدمشقي الذي استقر في مكة مجاوراً منذ سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م، ويُعدّ من أبرز العلماء المحدثين الثقات [(١)]، قال عنه الصفدي [(٢)]: " وكان شيخ الحجاز في وقته، وله تواليف في الحديث تدل على حفظه ومعرفته بالأسانيد واعتنائه بعلم الآثار " .

٣ – علم الفقه وأصوله [(٣)].

لقد تبين لنا من خلال ما سبق – سواء عند الحديث عن مذاهب المجاورين، أو في مقدمة كلامنا عن تخصصات المجاورين واهتماماتهم العلمية – أن عدداً من المجاورين قد عُنوا بعلم الفقه وأصوله، وفيه تخصص بعض المجاورين، في حين شمله بالاهتمام آخرون درسوا معه

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٨، ص٢٧١ ؛ الفاسي، المصدر السابق، ج٥، ص٤٣٢-٤٣٣ ؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢، ص١٧٦-١٧٧ .

(٢) الوافي بالوفيات، ج١٨، ص٢٧١ .

(٣) **الفِقْهُ** ؛ لغة : العلم بالشيء، والفهم له، والفطنة . (الفيروزابادي، القاموس المحيط، ص ١٦١٤، مادة الفقه) . وقد اختلفت تعريفاته في الاصطلاح، فقيل أن الفقه مرادف للعلم بالشريعة، أي أنه شامل للعلم بالأحكام الثابتة بالنصوص القطعية، أو تلك الثابتة بالطرق الظنية، وقيل أنه الثابت بالنصوص القطعية فقط . وقيل أنه العلم بالأحكام المستفادة عن طريق الاستنباط والاجتهاد . وقيل أنه العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة عن طريق الأدلة التفصيلية . (عبد الله شيخ محفوظ بن بيِّه، الفقه الإسلامي تعريفه وتطوره ومكانته، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، الرياض، العدد الأول، السنة الأولى، ١٤٠٩هـ، ص ١٢٤) . ويراجع هذا البحث لمن رام معلومات أوفى عن تعريف الفقه لغة واصطلاحاً، وأقوال العلماء حول ذلك .

أما **أصول الفقه** : فهو ضبط ودراسة القواعد التي يعتصم بها المجتهد عن الخطأ في الاستنباط، كتقديم النصوص على القياس، وتقديم القرآن على السنة، وتعريف دلالات ألفاظ نصوص هذين المصدرين، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، وقواعد القياس الصحيح والمصالح ومقاصد الأحكام، وغير ذلك من قواعد وأصول فقهية. (جاد الحق علي جاد الحق، الفقه الإسلامي، نشأة مذاهبه – أهدافها – ثمراتها، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، الرياض، العدد الأول، السنة الأولى ١٤٠٩هـ، ص ٦٠) .

بعض التخصصات الأخرى . ونصل بعد البحث وتقصي المعلومات المبثوثة في المصادر إلى حقيقة تؤكد احتواء قائمة المجاورين لأشخاص انتموا لجميع المذاهب الفقهية السنية الأربعة المشهورة، وهي الشافعي والحنفي والحنبلي والمالكي . كما يبيّن لنا هذا البحث – أيضاً – زيادة عدد المنتمين للمذهب الشافعي مقارنة ببقية أتباع المذاهب الأخرى – كما أشرنا مسبقاً . وسوف نتكلم في السطور التالية عن أبرز من عُنوا بعلم الفقه وأصوله، مرتبين حسب مذاهبهم الفقهية، مع ملاحظة تقديم أصحاب المذهب الأكثر في عدد المجاورين من أتباعه على الآخرين ممن هم أقل في العدد .

ومن أبرز الفقهاء الشافعية المجاورين في مكة آنذاك ؛ سالم بن عبد السلام بن علوان بن عبدون الربعي الدقومي، المعروف بالتواريخي (ت ٥٨٢هـ/١١٨٦م) الذي تفقه ببغداد على مذهب الشافعي حتى برع في هذا الجانب، وكان عالماً فاضلاً، جاور بمكة عدة سنوات، ونفع الله به خلقاً كثيراً [(١)]. ومحمد بن مفلح بن أحمد العجيبي والذي حلّ في مكة قادماً من بلاد اليمن، وراغباً الاستيطان الدائم فيها، وإليه انتهت رئاسة الفقه والفتوى في مكة [(٢)]، وكان ممن دأب – بعد استقراره في مكة – على تدريس كتب الإمام الغزالي الفقهية [(٣)]. ومحمد بن

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٥، ص٥٢ ؛ نجم الدين بن فهد، الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق، عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط١، بيروت، دار خضر ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج٢، ص٧٤٧ .

(٢) الجندي، السلوك، ج١، ص٤٢ ؛ الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص٣٦٢ .

(٣) الفاسي، المصدر نفسه، ج٦، ص٣٧٣ .

إسماعيل بن أبي الصيف وهو ممن قطن مكة، وكان أحد الأئمة الفقهاء المبرزين، انتهت إليه رئاسة الفقه والفتوى بمكة بعد محمد العجيبي [(١)]، وقد مكث فيها مدة طويلة يدرس ويفتي [(٢)]، وعليه تتلمذ الكثير من الطلاب في علم الفقه [(٣)]، وله مصنف فقهي بعنوان: نكت على التنبيه [(٤)]. وعبد الوهاب بن علي بن علي بن عبيد الله بن سكينة وكان ممن عُني كثيراً بالمذهب الشافعي والخلافات الفقهية، وركز على تدريس بعض كتب الشافعية المعروفة كالتنبيه والمهذب والوسيط، وقد جاور في مكة، وبذل خلال ذلك علمه للطلاب [(٥)]. ومظفر بن عبد الله بن علي بن الحسين المقترح (ت٦١٢هـ/١٢١٥م) كان إماماً في الفقه والخلاف [(٦)]، وله بعض التصانيف الفقهية منها شرح المقترح في المصطلح [(٧)]، درّس بمكة، وأفاد كثيراً، وتخرج به خلق من الطلاب [(٨)]. ومحمد بن علوان بن مهاجر بن علي بن مهاجر الموصلي أحد العلماء البارعين في الفقه الشافعي، جاور في مكة، ودرّس فيها، وكان

---

(١) الجندي، المصدر السابق، ج١، ص٤٢؛ الفاسي، المصدر السابق، ج١، ص٤١٦.

(٢) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص٤٦؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢، ص٣٩٥.

(٣) المنذري، التكملة، ج٣، ص٤٤١؛ المراكشي، الذيل والتكملة، س١، ص٤٨٩، س٥، ق٢، ص٥٣٥، س٦، ص٥٠٦.

(٤) الفاسي، المصدر السابق، ج١، ص٤١٥؛ ابن قاضي شهبة، المصدر السابق، ج٢، ص٣٩٥.

(٥) المنذري، التكملة، ج٢، ص٢٠٢؛ السبكي، المصدر السابق، ج٨، ص٣٢٤-٣٢٥؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٩، ص٢٠٦-٢٠٧.

(٦) المنذري، المصدر السابق، ج٢، ص٣٤٣؛ السبكي، المصدر السابق، ج٨، ص٣٧٢.

(٧) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج١٢، ص٢٩٩.

(٨) المنذري، المصدر السابق، ج٢، ص٣٤٣؛ السبكي، المصدر السابق، ج٨، ص٣٧٢.

قد قدم مكة بعد أن تخرج في المدرسة النظامية ببغداد، وتولى بعض المناصب العلمية في بغداد والموصل [(١)]. وعثمان بن محمد بن أبي علي بن عمر الكردي الحميدي (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م) وهو فقيه فاضل، استقر في مكة مجاور حتى توفي، وقد تفقه قبل قدومه مكة ببعض علماء الفقه الشافعي المشهورين [(٢)]. وعبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله ابن عبد الله بن الحسين ابن عساكر الدمشقي (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م) شيخ الشافعية بالشام، وكان ممن أفاد الطلاب في مكة، وله بعض المصنفات الفقهية [(٣)]. ومحمد بن إبراهيم الفارسي الذي رحل إلى عدد من الأمصار راغباً في التتلمذ على كبار علماء الفقه الشافعي، وجاور في مكة بعد ذلك أكثر من مرة، متصدياً للفتوى فيها [(٤)]. وبطال بن أحمد ابن سليمان الركبي الذي جاور في مكة حوالي أربعة عشر عاماً، وكان ممن عُني بالفقه، وصنف فيه كتاباً أسماه : المستعذب المتضمن لشرح غريب المهذب [(٥)]. والخضر بن عبد الواحد بن علي الحلبي الشروطي المعروف بابن السابق وهو من أعيان الشافعية وأكابرهم، استوطن مكة مجاوراً حتى وفاته . وكان يدرس بالحرم الشريف، ويفتي

(١) الصفدي، المصدر السابق، ج١٩، ص٢٠٦-٢٠٧ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٨٩ ؛ الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص١٤٠، ١٥١ .

(٢) المنذري، المصدر السابق، ج٣، ص٩٧ ؛ الأسنوي، طبقات الشافعية، ج٢، ص٣٥٦ ؛ ابن الملقن، العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، تحقيق، أيمن الأزهري وسيد مهنى، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٣٤٠ .

(٣) السبكي، المصدر السابق، ج٨، ص١٧٧ .

(٤) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص٣٢٧ .

(٥) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٧٦ .

فيه، كما درّس ببعض المدارس في مكة، ثم استقضي بها في سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م [١]. وبشير بن حامد بن سليمان الهاشمي التبريزي الذي تفقه على عدد من العلماء الشافعية، حتى أصبح من أبرز الفقهاء في أصول المذهب وفروعه، وكان قد رُتب – قبل أن يحط عصا الترحال في مكة – معيداً في المدرسة النظامية ببغداد، كما انتهت إليه رئاسة الخلاف في العراق، ولما قدم مكة درّس وأفتى وأفاد الطلاب كثيراً [٢]. ومحمد بن عيسى بن سالم الأزدي الشريشي المعروف بابن خُشيش (ت ٦٧٤هـ/١٢٧٥م) وهو ممن استوطن مكة قادماً من اليمن، وكان من المهتمين بالفقه، حتى عهد إليه بالإفتاء في الحرمين، وله بعض المصنفات الفقهية، منها؛ كتاب المقتضب في الفقه، ونظم التنبيه لأبي إسحاق الشيرازي، كما شرح هذا الكتاب المهم – أيضاً – في أربعة مجلدات [٣]. ومحمد بن أحمد بن علي العسقلاني وهو ممن صرف الكثير من جهوده العلمية إلى الفقه والخلافات المذهبية، وركز على دراسة الفقه الشافعي حتى تأهل للفتوى في مكة سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٥م، ومنه استفاد الكثير من طلبة العلم، وكان – أيضاً – ممن تولى القضاء في مكة [٤].

ومن أشهر الفقهاء المالكية المجاورين؛ علي بن محمد بن

---

(١) ابن العديم، بغية الطلب، ج٧، ص٣٣١٨؛ الفاسي، المصدر السابق، ج٤، ص٣١٦-٣١٧.

(٢) السبكي، المصدر السابق، ج٨، ص١٣٣-١٣٤؛ الفاسي، المصدر السابق، ج٣، ص٣٧١-٣٧٣.

(٣) الفاسي، العقد الثمين، ج٥، ص٢٤٥.

(٤) الفاسي، المصدر السابق، ج١، ص٣٢١-٣٢٣.

محمد بن إبراهيم الخزرجي الأشبيلي المعروف بالحَصّار وكان أحد العلماء المهتمين بالفقه وأصوله، قال عنه الذهبي [١]: " كان إماماً فاضلاً، كثير التصانيف، بارعاً في أصول الفقه، حج، وجاور، وصنف في أصول الفقه " . وعلي بن المفضل بن علي بن مفرج اللخمي المقدسي الذي تفقه كثيراً على المذهب المالكي حتى برز فيه، وتولي القضاء وتدريس ببعض المدارس في مصر، كما جاور في مكة، ودرّس فيها خلال ذلك [٢]. وعبد الله بن يوسف بن عبد الرحمن التميمي الفاسي الإسكندري (ت٦٢٣هـ/١٢٢٦م) والذي ثوى في مكة مجاوراً، وأفاد طلبة العلم فيها، بعد أن تفقه قبل مجيئه إلى مكة على المذهب المالكي [٣]. وأحمد بن علي بن محمد القسطلاني الذي جاور في مكة كثيراً، وكانت له عناية فائقة بفقه المذهب المالكي حتى أصبح أحد شيوخ وقته، وهو ممن درّس في قبة الشراب بالمسجد الحرام [٤]. وعبد المعطي بن محمود بن عبد المعطي الإسكندري (ت٦٣٨هـ/١٢٤٠م) انتقل من مصر في أخر عمره للمجاورة الدائمة في مكة، وبذل نفسه لطلبة العلم فيها، وكان من العارفين بفقه المذهب المالكي [٥]. ومحمد بن عبد الله بن موسى الأزدي المعروف بابن مسدي والذي نزل مكة منذ سنة

---

(١) تاريخ الإسلام (٦١١-٦٢٠هـ)، ص٧٦ .

(٢) المنذري، التكملة، ج٢، ص٣٠٦-٣٠٧ ؛ الذهبي، المصدر السابق، ص٧٧-٧٩ .

(٣) المنذري، المصدر السابق، ج٣، ص١٩٣ ؛ الفاسي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٠٢ .

(٤) اليافعي، مرآة الجنان وعبر اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ط٢، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ١٣٩٠هـ، ج٤، ص٩٤ ؛ الفاسي، المصدر السابق، ج٣، ص١٠٥-١٠٧ .

(٥) المنذري، المصدر السابق، ج٣، ص٥٦٦ ؛ الفاسي، المصدر السابق، ج٥، ص٤٩٧-٤٩٩ .

٦٤٦هـ/١٢٤٨م، وتولى إمامة وخطابة المقام الشريف، كما أفتى في مكة، وكان من الفقهاء العارفين بالمذاهب الفقهية، ألف كتاباً في المناسك بعنوان : إعلام الناسك بأعلام المناسك، وهو عبارة عن كتاب ضخم، ذكر أقوال المذاهب الفقهية حول الموضوع، وحجج أصحابها وأدلتهم [(١)].

وممن جاور في مكة من الفقهاء الأحناف ؛ الحسين بن محمد بن أسعد بن حليم المعروف بالنجم (ت٥٨٠هـ/١١٨٤م) وهو فقيه اهتم بفروع الفقه الحنفي، جاور في مكة، وفيها شرح كتاب الجامع الصغير – وهو في فروع الفقه الحنفي – للإمام محمد بن الحسن الشيباني، كما صنّف كتاب الفتاوى والوقعات [(٢)]. وعلي بن محمد بن فرحون القيسي القرطبي (ت٦٠١هـ/١٢٠٤م) الذي جاور في مكة حتى وفاته، وكان أحد العلماء الفضلاء المتمكنين من كثير من العلوم [(٣)]، ووصفه المراكشي فقال [(٤)]: وكان فقيهاً حافظاً شاعراً ماهراً في الحساب عارفاً بالفرائض والمواريث وعلّم بهما طويلاً . ومحمود بن عبيد الله بن صاعد الطايكاني المروزي (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م) تفقه على المذهب الحنفي، وبرع فيه حتى صار إماماً في المذهب والخلاف، ثم قدم

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٥، ص١٦٦ ؛ ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق، محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، دار التراث، (د . ت)، ج٢، ص٣٣٣-٣٣٤ .

(٢) ابن العديم، بغية الطلب، ج٦، ص٢٧٤٥-٢٧٤٦، القرشي، الجواهر المضية، ج٢، ص١٢٦-١٢٧ .

(٣) نجم الدين ابن فهد، الدر الكمين، ج٢، ص١٠٧٦ .

(٤) الذيل والتكملة، س٥، ق١، ص٣٧٥-٣٧٦ .

مكـــــة، ودرّس فيهـا [١]. وعبـد الـرحمن بـن محمـد بـن عبـد العزيـز بـن سـليمان القوصـي أحـد الفقهـاء المـشهورين الـذين تبحـروا في الفقـه الحنفـي حتـى بـرزوا فيـه، ودرّسـه في بعـض مـدارس القـاهرة، ثـم جـاور في مكـة مـدة، ودرّس فيهـا، وكـان – أيـضاً – ممـن صـنف بعـض الكتـب في المـذاهب الأربعـة [٢]. والحـسن بـن محمـد بـن الحـسن العمـري المعـروف بالرضـي الـصغاني (ت٦٥٠هـ/١٢٥٢م) وهـو فقيـه حنفـي، جـاور في مكـة، وأفـاد فيهـا، ولـه بعـض المـصنفات في الفقـه منهـا كتـاب في المناسـك [٣]. ومحمـد بـن محمـود بـن محمـد بـن حـسن الخـوارزمي قاضـي خـوارزم وخطيبها، وكان ممن عُني بالفقه الحنفي طلباً وتدريساً [٤].

أمـا المجـاورون مـن المـشتغلين بالفقـه الحنبلـي فـلا تـسعفنا المـصادر المتاحـة إلا بـذكر واحـد مـنهم فقـط، وهـو سـليمان بـن شـاذي بـن عبـد الله الأزجـي البغـدادي إمـام مقـام الحنابلـة في الحـرم الـشريف، والـذي قـدم مـن بغـداد لتـولي إمامـة المقـــام الحنبلـي، وكـان ممـن تفقـه علـى المـذهب الحنبلي [٥].

(١) المنذري، التكملة، ج٢، ص١٧٥ ؛ القرشي، المصدر السابق، ج٣، ص٤٤٤ .

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٨، ص١٥٤ ؛ القرشي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٩٥ .

(٣) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق، إحسان عباس، بيروت، دار صادر، (د . ت)، ج١، ص٣٥٨-٣٦٠ ؛ الفاسي، العقد الثمين، ج٤، ص١٧٦ ؛ القرشي، المصدر السابق، ج٢، ص٨٢-٨٤ .

(٤) القرشي، المصدر السابق، ج٣، ص٣٦٥ .

(٥) الفاسي، المصدر السابق، ج٤، ص٦٠٦ .

٤ – علوم العقيدة (١).

وتسمى – أيضاً – علوم أصول الدين وعلم الكلام . وقد عُني عدد من العلماء المجاورين خلال الفترة التاريخية التي نتحدث عنها بهذه العلوم وما يتعلق بها من أمور ومسائل تحتاج إلى مزيد من الإرشاد والتوضيح، في محاولة منهم لدحض بعض الشبه والبدع التي تثيرها بعض الفئات . ويبدو أن قلة أصحاب البدع في مكة، وقوة نفوذ العلماء السنة وسطوتهم آنذاك قد قللت من انتشار البدع في مكة أو مجاهرة أصحابها بأقوالهم أو بدعهم (٢)، بحيث لا نرى – آنذاك – سوى عدد من الصوفية الذين حاول عدد محدود منهم التبجح ببعض البدع أو المجاهرة بها – كما سبق وأن بيّنا . ولذا فإننا لا نستبعد أن هذه الظواهر قد قللت من الاهتمام بهذه العلوم لعدم الحاجة كثيراً إليها، سيما في مجال التصنيف فيه، حيث اكتفى العلماء المهتمين بهذا العلم – فيما يبدو – بما صنف فيها من كتب مفيدة في هذا الجانب من قِبل أسلافهم .

ومن العلماء المجاورين المهتمين بعلوم العقيدة آنذاك علي بن محمد ابن محمد الخزرجي الأشبيلي المعروف بالحَصّار وكان محققا في علم

---

(١) تضم دراسات العقيدة جوانب التوحيد والإيمان والإسلام وأمور الغيب والنبوات والقدر والأخبار وأصول الأحكام القطعية، وما أجمع عليه السلف الصالح من أمور العقيدة كالولاء والبراء والواجب تجاه الصحابة وأمهات المؤمنين – رضوان الله عليهم أجمعين – ويدخل فيها أيضاً الرد على الكفار والمبتدعة وجميع أهل الأهواء والمذاهب الهدامة وغيرهم . (محمد بن إبراهيم الحمد، عقيدة أهل السنة والجماعة . مفهومها .. خصائصها .. خصائص أهلها، ط١، الرياض، دار الوطن ١٤١٦هـ، ص١٤) .

(٢) الفاسي، المصدر السابق، ج٣، ص٨٦ .

الكلام [١]، وله أرجوزة في أصول الدين، شرحها في أربع مجلدات [٢]. ومظفر بن عبد الله بن علي بن الحسين المقترح وهو ممن برع في علم أصول الدين، وأقام الكثير من المناظرات ضد بعض المتكلمين في العقيدة الإسلامية [٣]، وله كتاب شرح الإرشاد في أصول الدين [٤]. ومحمد بن إبراهيم بن أحمد بن طاهر الفارسي الذي جاور وحدّث في مكة، وكان من المهتمين بعلم الكلام، وقد ألف فيه أيضاً [٥]. وعبد المعطي بن محمود بن عبد المعطي الإسكندري وكانت له معرفة بأصول الدين [٦].

٥ – اللغة العربية وآدابها .

احتوت النشاطات العلمية المختلفة التي عاشتها مكة خلال الفترة الممتدة من ٥٧٠ـ٦٦٠هـ/١١٧٤ـ١٢٦١م على مشاركات لغوية وأدبية متنوعة، نهض بها عدد كبير من المجاورين، ممن ظعنوا إلى مكة للمجاورة المؤقتة أو الاستقرار، بلغ عددهم ما يربوا على الثلاثين مجاوراً، ممن تميزوا بما حملوه معهم من رصيد علمي وافر، أو بما صنفوه من كتب متعددة في علوم اللغة العربية وآدابها .

(١) المراكشي، الذيل والتكملة، س٨، ق١، ص٢٠٩ـ٢١٢ .

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام (٦١١ـ٦٢٠هـ)، ص٧٦ .

(٣) المنذري، التكملة، ج٢، ص٣٤٣ ؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص٣٧٢ .

(٤) خير الدين الزركلي، الأعلام، ط٦، بيروت، دار العلم للملايين ١٩٨٤م، ج٧، ص٢٥٦ .

(٥) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص٣٩٤ .

(٦) المصدر نفسه، ج٥، ص٤٩٧ـ٤٩٩ .

وكان من أبرز المشتغلين بعلوم اللغة العربية وآدابها من المجاورين؛ الحسن بن علي بن أبي سالم بن ناهوج الإسكافي البغدادي (ت٥٩٦هـ/١١٩٩م) الذي جاور في مكة مدة بعد أن حج سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م [١]، وكان أديباً بارعاً، وصفه ياقوت الحموي بقوله [٢]: " كان فيه فضل وأدب بارع، وعربية وتصرف في فنونها، ويكتب خطاً على طريقة ابن مقلة قل نظيره فيه، ... وصنف عدة تصانيف في الأدب حسنة " . وقال عنه ياقوت أيضاً [٣]: وكان صحب أبا محمد بن الخشاب النحوي وقرأ عليه وبحث معه، وعلق عنه تعاليق وقفت على بعضها فوجدتها منبئة عن يد باسطة في هذا الفن من العلم، ورأيت بخطه في حلب تعاليق وكتباً واختيارات ونظماً ونثراً تدل على قريحة سالمة، ونفس عالمة، تقلل النظير، وتؤذن بالعلم الغزير " . ومنهم محمد بن أحمد ابن جبير الكناني الأندلسي (ت٦١٤هـ/١٢١٧م) وهو صاحب الرحلة المعروفة، جاور في مكة أكثر من مرة، وكان ممن عُني بعلوم العربية، كما كان أديباً بارعاً وكاتباً بليغاً وشاعراً مجيداً، وكان ممن درّس في مكة، خصوصاً في مجال الآداب [٤]. ومحمد بن محمود بن الحسن

---

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، " المسمى " إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب "، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ج٣، ص٣٩ .

(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٥-٣٦ .

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٦ .

(٤) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج٢، ص١٠٩-١١٠ ؛ المراكشي، الذيل والتكملة، س٥، ق٢، ص٥٩٧، ٦٠٦-٦٠٧ ؛ حسن الواركلي، المجاورون الأندلسيون، ص٣٢٤-٣٢٥ .

ابن هبة الله البغدادي المعروف بابن النجار (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م) الذي جاور في مكة [١]، وهو ممن قرأ علمي النحو والأدب، وبرع فيهما [٢]، وصنف بعض الكتب في علوم الأدب منها ؛ الأزهار في الأشعار، غرر الفوائد، ونزهة الطرف في أخبار أهل الظرف، والزهر في محاسن شعراء العصر، وغيرها [٣]. والحسن بن محمد بن الحسن العمري الصغاني الذي جاور بمكة سنوات عديدة [٤]، وكان إليه المنتهى في علم اللغة ومعرفة اللسان العربي، وله في علوم اللغة المختلفة مصنفات كثيرة، منها ؛ مجمع البحرين في اللغة، في اثنا عشر مجلداً، والعباب الزاخر، في عشرين مجلداً، والشوارد في اللغات، وكتاب التراكيب، وكتاب فعال وفعلان، وكتاب في التصريف، وغيرها [٥]. وإبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيديس النفزي الغرناطي (ت٦٥٩هـ/١٢٦٠م) المجاور في مكة، وهو من المهتمين بعلوم اللغة العربية المختلفة، سيما النحو حيث كان

---

(١) ابن الفوطي، التجارب النافعة، ص١٦٥ـ١٦٦ ؛ الفاسي، العقد الثمين، ج٧، ص٣٣٣ ؛ نجم الدين بن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص١٠ .

(٢) ابن الفوطي، المصدر السابق، ص١٦٥ـ١٦٦ .

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٥، ٤٤٤ .

(٤) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج٣، ص٩٥ ؛ الفاسي، العقد الثمين، ج٤، ص١٧٦ .

(٥) ابن عبد المجيد، إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، تحقيق، عبد المجيد دياب . ط١، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٩٨ـ٩٩ ؛ ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص٣٥٨ـ٣٦٠ ؛ السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، (د، ت)، ج١، ص٥١٩ـ٥٢٠ .

بارعاً فيه [١]. ومحمد بن عبد الله بن محمد المرسي السلمي أحد الأدباء والنحاة المشهورين [٢]، قال عنه ياقوت الحموي [٣]: " .. أحد أدباء عصرنا، أخذ من النحو والشعر بأوفر نصيب، وضرب فيه بالسهم المصيب، وخرج التخاريج، وتكلم على المفصل للزمخشري "، وللمرسي هذا بعض المصنفات، منها ؛ كتاب الكافي في النحو، الذي وصفه الفاسي بأنه غاية في الحسن [٤]، وكتاب الضوابط الكلية في علم العربية، وكتاب في البديع والبلاغة، والإملاء على المفضل [٥]. هذا بالإضافة لعلماء آخرين – لا يتسع المقام لذكرهم – ممن عُنوا بعلوم اللغة العربية وآدابها، وشاركوا في مجالاتها المختلفة.

٦ – العلوم التاريخية .

تمحورت مشاركة المجاورين في الدراسات التاريخية خلال الفترة التي نتحدث عنها في جانبين، تمثل الأول منها في تدريس بعض الكتب المتخصصة في مجالات تاريخية مختلفة، أما الجانب الثاني فكان عن طريق التصنيف في بعض فروع علم التاريخ المتنوعة . وقد شارك في دعم الدراسات التاريخية من المجاورين حوالي اثنا عشر

(١) السيوطي، المصدر نفسه، ج١، ص٤٢٤ .

(٢) ابن عبد المجيد، المصدر السابق، ص٣١٩ .

(٣) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٥، ص٣٤٩ .

(٤) العقد الثمين، ج٢، ص٨٢ .

(٥) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٥، ٣٥٠ ؛ الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص٨٢ ؛ السيوطي، المصدر السابق، ج١، ص١٤٥ .

شخصاً، معظمهم ممن تعددت تخصصاتهم، وتنوعت اهتماماتهم .

وكان ممن شارك من المجاورين في إثراء علم التاريخ في مكة عبر المحور الأول، وهو تدريس بعض الكتب التاريخية ؛ مبارك بن علي بن الحسين البغدادي المعروف بابن الطباخ الذي عُني بتدريس كتاب أخبار مكة للأزرقي، وعنه تلقاه ورواه الكثير من طلبة العلم (١)، كما درّس أيضاً كتاب دلائل النبوة الإمام البيهقي (٢). ومحمد بن أبي بكر الطوسي الذي درّس أيضاً كتاب أخبار مكة للأزرقي (٣). كما درّس كتاب الأزرقي – أيضاً – أبو بكر بن أبي الفتح السجزي حيث عقد لتدريسه مجالس علمية خاصة في المسجد الحرام، كان أخرها في الخامس من شعبان سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م (٤). أما يحيى بن ياقوت الحرمي البغدادي فقد ركز على تدريس كتاب فضائل العباس (٥) لحمزة بن يوسف السهمي، وعنه أخذه الكثير من طلبة العلم المكيين والوافدين (٦). كما روى عنه هذا الكتاب ودرّسه بمكة – أيضاً – تلميذه أبو بكر بن عمر بن شهاب الهمذاني نزيل مكة، وذلك بدروس عقدها برباط خاتون في المسجد الحرام (٧). وكان محمد بن يوسف بن موسى الأزدي الشهير بابن مسدي

(١) الفاسي، العقد الثمين، ج٧، ص١٢٠، ج٨، ص١٨-١٩ .

(٢) المصدر نفسه، ج٧، ص١٢٠ .

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٤٣٤ .

(٤) المصدر نفسه، ج٨، ص١٨-١٩ .

(٥) ذكر حاجي خليفة هذا الكتاب باسم، الأربعين في فضائل العباس . (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . بيروت، دار العلوم الحديثة، (د، ت)، ج١، ص٥٧ .

(٦) الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص١٢١، ج٧، ص٤٥١-٤٥٢، ج٨، ص١٦-١٧.

(٧) المصدر نفسه، ج٨، ص١٦-١٧.

– نزيل مكة – قد اشتغل في تدريس بعض الكتب المتخصصة في السيرة النبوية ومنها ؛ كتاب السيرة النبوية لابن إسحاق، وكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض اليحصبي، وكتاب شمائل النبي للترمذي [(١)]. أما أحمد بن عبد الواحد بن مري السعدي الحوراني (ت ٦٦٧هـ/١٢٦٨م) فقد حدّث في مكة بكتاب شمائل النبي للإمام الترمذي [(٢)].

أما من عُنوا بالتصنيف من المجاورين في بعض المجالات التاريخية آنذاك، فمنهم ؛ محمد بن إسماعيل بن أبي الصيف وله كتاب الميمون في فضل أهل اليمن، وكتاب زيارة الطائف [(٣)]. والحسن بن محمد بن محمد بن العمري الصغاني وله عدد من المصنفات التاريخية، منها ؛ أسامي شيوخ البخاري، ودر السحابة في بيان مواقع وفيات الصحابة [(٤)]، والذي قال عنه الفاسي [(٥)]: " وقفت عليه واستفدت منه " . ومحمد بن يوسف بن موسى الأزدي المعروف بابن مسدي ومن مصنفاته ؛ كتاب الخصائص النبوية، ومعجم جمع فيه شيوخه [(٦)]، قال عنه

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٤٥٣، ج٣، ص٣٩ .

(٢) ابن العديم، بغية الطلب، ج٢، ص١٠١٩ ؛ الفاسي، المصدر السابق، ج٣، ص٨٤ .

(٣) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص١٩١٧، ١٩٦٤ ؛ عبد الله الحبشي، مصادر الفكر الإسلامي، ص٤٢، ٤٥٦ ؛ محمد الحبيب الهيلة، التاريخ والمؤرخون في مكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر، ط١، مكة المكرمة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٩٩٤م، ص٤٠ .

(٤) الفاسي، المصدر السابق، ج٤، ص١٧٨ ؛ محمد الحبيب الهيلة، المرجع السابق، ص٤٢ .

(٥) المصدر السابق، ج٤، ص١٧٨ .

(٦) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٥، ص١٦٦ ؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٧١٨، ج٢، ص١٧٣٥ ؛ محمد الحبيب الهيلة، المرجع السابق، ص٤٤ .

الصفدي [١]: " وطالعت معجمه بخطه، وفيه عجائب وتواريخ "، ولا شك أن هذا المعجم – الذي نرى منه بعض النقول المتناثرة في المصادر – ذا أهمية بالغة في تدوين تاريخ الحياة العلمية في الحجاز في العصر الذي نحن بصدد الحديث عنه، شأنه في ذلك شأن معظم الكتب التي تتحدث في محتواها العلمي عن العلماء والمشايخ [٢]، ولا شك أن فقدان هذا الكتاب القيّم قد فوت علينا الكثير من المعلومات التي نحن بأمس الحاجة إليها في هذه الدراسة .

ومن المصنفين في المجال التاريخي أيضاً ؛ محمد بن عمر بن محمد التوزري وله كتابان في التراجم، هما ؛ تأليف في رجال البخاري، وتأليف في رجال الموطأ لمالك بن أنس [٣]. وعبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز بن سليمان القوصي وله من المصنفات التاريخية ؛ فضائل أم المؤمنين خديجة، جزء في جبل حراء [٤]. ومحمد بن محمود بن الحسن ابن هبة الله البغدادي المعروف بابن النجار المؤرخ المعروف، ومن مصنفاته؛ الذيل على تاريخ بغداد (في ست عشرة مجلدة)، ونثر الدر (في ثمان مجلدات)، والعقد الفائق في عيون أخبار الدنيا ومحاسن تواريخ الخلائق، وجنة الناظرين في معرفة التابعين، والكمال في معرفة الرجال، والمتفق والمفترق والمؤتلف والمختلف في أسماء الرجال ذيل به تاريخ ابن ماكولا، والدرة الثمينة في أخبار المدينة، ونزهة الورى في أخبار أم القرى، وروضة

(١) المصدر السابق، ج٥، ص١٦٦ .

(٢) حسن الوراكلي، المجاورون الأندلسيون، ص٣٣٠ .

(٣) الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص٢٣٥ ؛ محمد الحبيب الهيلة، المرجع السابق، ص٤٦ .

(٤) خير الدين الزركلي، الأعلام، ج٤، ص١١ .

الأولياء في مسجد إيليا، ومناقب الشافعي، وغيرها [١]. ومحمد بن أحمد ابن علي بن محمد القسطلاني الذي صنف بعض الكتب التاريخية، منها؛ منهاج النبراس في فضائل بني العباس، وفواضل الزمن في فضائل اليمن [٢].

المجاورون وتنمية المكتبات العامة والخاصة في مكة .

مضى عدد كبير من المجاورين في سبيل دعم الحياة العلمية في مكة، فشاركوا بفعالية في تنمية المكتبات – التي تُعد إحدى مرتكزات العملية التعليمية المهمة – وتزويدها بما ينقصها من الكتب النافعة، كما مدوا الأسواق المكية بحاجتها من الكتب المختلفة . وقد اختلفت مشاركتهم في هذا الجانب، كما تنوعت أساليبها . فكان من ذلك مشاركاتهم في مجال التصنيف وتأليف الكتب في العديد من التخصصات العلمية، أو القيام بإيقاف الكتب النافعة للمستفيدين في مكة، أو الحرص على تنمية مكتباتهم الخاصة والسعي في سبيل دعمها بالكتب المتنوعة، أو عن طريق القيام بأعمال الوراقة وتوفير ما يحتاجه ا العلماء ومنسوبو العلم وغيرهم من الكتب في الأسواق المكية .

وقد رأينا من خلال الحديث السابق عن اهتمامات المجاورين ومشاركاتهم العلمية مدى قيامهم في خدمة التخصصات العلمية المختلفة عن طريق تأليف العديد من الكتب النافعة والمتميزة في جميع

(١) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص١٦٦ ؛ البغدادي، هدية العارفين . بيروت، دار العلوم الحديثة، (د، ت)، ج١، ص١٢٢ .

(٢) الفاسي، المصدر السابق، ج١، ص٣٢٢ .

التخصصات العلمية المطروقة في مكة حينذاك، فضلاً عن القيام بالشروح والتعليقات على عدد من أمهات الكتب العلمية المعروفة . وقد أسهم أكثر من خمسة عشر من المجاورين في مكة في دعم الحركة العلمية وإثرائها عن طريق الاشتغال في مجال التأليف والتصنيف، بل أن معظم هذه المصنفات قد فرضت – بقيمتها العلمية وجدارة مصنفيها – وأثبتت مكانتها في الأوساط العلمية المكية، فكانت محل عناية واهتمام عدد من الطلاب المكيين أو الوافدين إلى مكة .

من جانب أخر فإن شرف المكان وبركته، وتوافر المواد العلمية المعينة على التصنيف قد دفع مجموعة من العلماء المتمكنين إلى استغلال ذلك، ومن ثمّ الشروع في تأليف بعض الكتب في مكة [١]. كما وجد عدد أخر من العلماء المصنفين في توافر العلماء وطلاب العلم من جميع الأمصار الإسلامية في مكة فرصة سانحة لجمع المادة العلمية لمصنفاتهم التي يعزمون على إصدارها [٢].

وقد زودتنا بعض المصادر بإسهامات مختلفة للمجاورين في تنمية المكتبات العامة في مكة، ومن أبرز ذلك ما قام به محمد بن عبد الله ابن الفتوح المكناسي إمام المالكية بالحرم، والذي أوقف كتاب المقرب لابن أبي زمنين المالكي – وهو في ستة مجلدات – على المالكية والشافعية والحنفية الذين يكونون بمكة، وجعل مكانه بخزانة

(١) ابن العديم، بغية الطلب، ج٦، ص٢٧٤٥-٢٧٤٦ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (٦٠١-٦١٠هـ)، ص٢٣١ ؛ الفاسي، المصدر السابق، ج٢، ص١٦١ .

(٢) المنذري، التكملة، ج٢، ص١٩٧، ٣٥٤ .

المالكية فيها [١]. وكذلك عبد الله بن أحمد بن محمد بن قفل الزيادي الحضرمي (ت٦٣١هـ/١٢٣٣م) وكان ممن جمع الكثير من الكتب، وأوقفها على طلبة العلم في مكة [٢]. إضافة إلى محمد بن عيسى بن سالم الأزدي الشريشي المعروف بابن خُشيش الذي أوقف مصنفاته على طلبة العلم في مكة، وجعل مقرها في مكتبة رباط ربيع [٣].

بيّد أن من المجاورين من عُني بجمع الكتب وتأسيس مكتبات خاصة بهم، سواء عن طريق التوريق لأنفسهم، أو شرائها من الأسواق الخاصة بالكتب. وكان من أبرز من حرص على جمع الكتب من المجاورين في مكة آنذاك؛ محمد بن عبد الله بن محمد المرسي السلمي الذي تحصل على الكثير من الكتب العلمية [٤]، بل كانت له في كل منطقة يتجه إليها مكتبة خاصة متكاملة، بحيث لا يحتاج لاصطحاب كتبه عندما يتنقل من مكان إلى أخر [٥]. وعبد الوهاب بن علي بن علي ابن عبيد الله بن سكينة وكان ممن كتب الكثير بخطه، كما حرص على الحصول على اقتناء العديد من الكتب بالخطوط الحسنة [٦]. ومحمد بن إسماعيل بن أبي الصيف وكانت لديه مكتبة

(١) الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص٧٤.

(٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) المصدر نفسه، ج٥، ص١٠١-١٠٢؛ ابن الملقن، العقد المذهب، ص٤٦٦.

(٤) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٧٧.

(٥) الفاسي، المصدر السابق، ج٢، ص٨٤.

(٦) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٩، ص٢٠٦.

خاصة تضم الكثير من كتب العلم [١]. وعبد العزيز بن الحسين بن عبد العزيز اللخمي الأندلسي وكانت لدية مكتبة جمع أكثر كتبها بخطه الدقيق، وأوصى بمنحها بعد وفاته لمحمد بن عبد الله المرسي السلمي المجاور في مكة آنذاك [٢].

وثمة مجاورون آخرون كانوا بمثابة وراقين عنوا بنسخ الكتب وأسهموا في زيادة تداولها في الأوساط العلمية المكية، سواء كان ذلك عن طريق التوريق بالأجرة، أو الرغبة في الحصول عليها لأنفسهم، ومن هؤلاء على سبيل المثال – بالإضافة لمن ذكرنا من أصحاب المكتبات الخاصة الذين كتبوا لأنفسهم – أسد بن المحسن بن أبان الجهياني المعروف بالمؤيد (ت أوائل ق ٧هـ/١٣م) [٣]، وجعفر بن محمد بن آموسان الأصبهاني الملنجي [٤]، ونصر بن محمد بن علي النهاوندي البغدادي المعروف بالحصري [٥]، ومحمد بن إبراهيم بن أحمد الفارسي [٦]، وعبد العزيز ابن محمود بن عبد الرحمن المعروف بالعصار [٧]، وأحمد بن يوسف بن أيوب بن شاذي الأيوبي [٨]، وغيرهم .

(١) المنذري، التكملة، ج٣، ص٩٠ ؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢، ص٣٩٥ .

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام (٦١١-٦٢٠هـ)، ص٣١٧ .

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٩، ص٦-٧ .

(٤) الذهبي، المصدر السابق (٦٠١-٦١٠هـ)، ص٢٣١ .

(٥) المنذري، المصدر السابق، ج٣، ص٧٠ .

(٦) المصدر نفسه، ج٣، ص١٦٥ .

(٧) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٦٤ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (٦٢١-٦٣٠هـ)، ص٢٦٣ .

(٨) الصفدي، المصدر السابق، ج٨، ص١٨٤ .

الخاتمـــــة .

إن التعمــق في دراســة هــذا الموضــوع، والتعــايش الــزمني معــه قــد أفضى بنـا إلى نتـائج كـثيرة ومهمـة، وكـان مـن أبـرز مـا توصلنا إليـه في هـذا الجانب ما يأتي :

- تزايـد أعـداد العلمـاء والطـلاب المجـاورين إبـان الفـترة التاريخيـة الـتي عُنيـت بها الدراسة، مقارنة بالفترة التاريخية التي سبقتها .
- كثـرة المـستقرين اسـتقراراً دائمـاً في مكـة خـلال هـذه الفـترة حيـث شكلوا نسبة كبيرة من بين عموم المجاورين .
- أن أثـر المجـاورين في دعـم الحركـة العلميـة وإنمائهـا كـان واضـح، حتـى أن المجاورين شكلوا العمود الفقري لهذه الحركة آنذاك .
- أن الأوضـاع الـسياسية الـسائدة في العـالم الإسـلامي آنـذاك – سـواء كانـت إيجابيـة أو سـلبية - قـد أثـرت كـثيراً في مجـيء العديـد مـن المجـاورين إلى مكة .
- وقـد اتـضح لنـا مـن خـلال هـذه الدراسـة أن مـدة المجـاورة قـد تفاوتـت بـين شخص وأخر وفقاً للظروف الخاصة بالمجاور أو بالمجتمع المحيط به .
- وكــان لتزايــد الاهتمامــات العلميــة في كــثير مــن الأمــصار الإســلامية آنـذاك، بعـد تـشجيع عـدد مـن الـسلطات فيهـا لهـذا الجانـب، أثـر في زيـادة المهـتمين فيهـا بطلـب العلـم، وبالتـالي فقـد تزايـدت الـرحلات العلميـة، وكان نصيب مكة منها وافراً .
- أن جميـع الأمـصار الإسـلامية آنـذاك قـد مـدت مكـة بالمجـاورين – سـواء

منهم من رام الاستقرار أو من رغب العودة إلى بلاده بعد المجاورة، وقد تغلبت العراق على غيرها من الأمصار في عدد المجاورين منها، في حين كانت بلاد اليمن الأقل مداً لمكة بالمجاورين .

ـ كان للأعمال الخيرية المتنوعة في مكة دور في جذب العديد من المجاورين فيها إبان العصر الذي نتحدث عنه .

ـ وقد رأينا من خلال الدراسة أن وجود العديد من الوظائف الدينية والتعليمية في مكة قد أثر في زيادة عدد المجاورين والنزلاء في مكة .

ـ أن ظهور المدارس وتزايد أعداد الأربطة قد واكب الفترة التي نتحدث عنها، وكان لهذه المرافق الدور الكبير في إغراء العديد من أبناء العالم الإسلامي للسكن الدائم في مكة، أو المجاورة فيها بعض الوقت .

ـ أن استقرار الأوضاع في مكة خلال فترات كثيرة من العصر الذي نتحدث عنه، عقب زوال الدولة العبيدية (الفاطمية) وزيادة نفوذ العباسيين في مكة، فضلاً عن ظهور صلاح الدين الأيوبي وحرصه على أمن المقدسات واستقرار الأوضاع فيها، قد أسهمت بدور واضح في تزايد أعداد المجاورين، وتطور الحياة العلمية في مكة .

ـ تركيز اهتمامات المجاورين العلمية آنذاك على الدراسات الدينية وما يتعلق بها من علوم ومعارف، كعلوم اللغة العربية وآدابها وعلوم التاريخ المختلفة .

ـ تبيّن من خلال البحث كثرة المصنفات العلمية التي شارك بها المجاورون

آنذاك، وتعدد التخصصات المطروقة في هذا الجانب .

- اتضح لنا مدى مشاركة المجاورين الفاعلة في دعم الحركة العلمية من خلال عقد المجالس والدروس العلمية المتنوعة في المسجد الحرام والمدارس والأربطة .

- أن علم الحديث قد استأثر بنصيب وافر من اهتمامات المجاورين، حيث شكلت نسبة المشتغلين في هذا الجانب نسبة كبيرة من بين المجاورين، ويأتي بعد هؤلاء المعتنين بالعلوم الفقهية .

- وقد رأينا أن قائمة المجاورين آنذاك قد حوت الكثير من العلماء المشهورين على مستوى العالم الإسلامي، ممن تميزوا بتبحرهم العلمي، وكثرة تخصصاتهم واهتماماتهم .

- لم تقتصر المجاورة آنذاك على أصحاب مذهب دون غيره، بحيث جاء مجاورين من مختلف المذاهب الفقهية ولكن بنسب متفاوتة، وقد تغلب أتباع المذهب الشافعي على بقية المذاهب في عدد المجاورين منهم .

- كما رأينا تزايد أعداد الصوفية المجاورين خلال هذه الفترة، ولكن معظمهم من الزهاد والعباد الذين نسبوا للتصوف .

- أن الحركة العلمية التي تطورت كثيراً خلال الفترة التي تحدثنا عنها كانت أساساً ومنطلقاً للازدهار الذي حدث لهذه الحياة في مكة في العصر المملوكي، حيث كان معظم علماء العصر الملوكي في مكة من تلامذة المجاورين أو تلامذة تلامذتهم .

- كثرة الطلاب الوافدين من الأقطار الإسلامية إلى مكة آنذاك للتتلمذ

على العلماء المجاورين فيها .

ـ كما رأينا من خلال هذه الدراسة مدى مشاركة المجاورين في دعم المكتبات المختلفة في مكة من خلال التصنيف أو وقف الكتب أو الحرص على اقتنائها أو القيام بأعمال الوراقة المختلفة .

هذا بالإضافة لنتائج أخرى يجدها المطلع على هذه الدراسة، التي أتمنى أن أكون قد وفقت فيها ، كما أخالها قدمت جديداً ومفيداً لمكتبتنا العربية الإسلامية . والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

***

المصادر والمراجـــــع

أولاً : المصادر:

ابن الأبار، محمد بن عبد الله القضاعي (ت٦٥٨هـ/١٢٥٩م) .

ـ التكملة لوفيات الصلة، تحقيق، عبد السلام الهراس، بيروت، دار الفكر ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) .

ـ الكامل في التاريخ . ط٤، بيروت، دار الكتاب العربي ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

الإسفراييني، عمر بن علي (ت٧٨٦هـ/١٣٨٤م) .

ـ زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال، ط١، مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

الأسنوي، جمال الدين عبد الرحمن بن حسين بن علي (ت ٧٧٢هـ/١٣٧١م).

ـ طبقات الشافعية . تحقيق، عبد الله الجبوري . الرياض، دار العلوم ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٣م

بامخرمة، عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد (ت٩٤٧هـ/١٥٤٠م) .

ـ تاريخ ثغر عدن، ليدن، مطبعة بريل ١٩٣٦م .

ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) .

ـ الرحلة، بيروت، دار بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن علي (ت ٨٣٣هـ/١٤٣٠م)

ـ غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره، برجستراسر . ط٣، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

الجزيري، عبد القادر بن محمد عبد القادر (ت ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م)

ـ الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطرق مكة المعظمة . تحقيق، حمد الجاسر، ط١، الرياض، دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

جمال الدين الطبري، محمد بن أحمد بن عبد الله الطبري المكي (ت٦٩٥هـ/١٢٩٥م)

ـ التشويق إلى البيت العتيق، تحقيق، محمد حسن إسماعيل، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .

الجندي، محمد بن يوسف بن يعقوب السكسكي (ت٧٣٤هـ/١٣٣٣م) .

ـ السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق، محمد بن علي الأكوع الحوالي، صنعاء، وزارة الإعلام والثقافة، ج١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣هـ، ج٢، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٣م) .

ـ الصحاح . ط٣، بيروت، دار العلم للملايين ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة(ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م) .

ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . بيروت، دار العلوم الحديثة، (د، ت) .

الحموي : شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) .

ـ معجم الأدباء، " المسمى " إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب " . ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد اله (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م) .

ـ الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق، محمد عبد الله عنان . ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي١٩٧٥م .

الخوارزمي، محمد بن إسحاق (ت٨٢٧هـ/١٤٢٣م) .

ـ إثارة الترغيب والتشويق إلى المساجد الثلاثة والبيت العتيق، تحقيق، مصطفى محمد

حسين الذهبي، ط١، مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز ١٤١٨هـ/١٩٩٨م

الدمياطي، أحمد بن أيبك الحسامي (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) .

ـ المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار، تحقيق، محمد مولود خلف، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) .

ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق، بشار عواد معروف وآخرون، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٠٨هـ/١٩٩٨م .

ـ سير أعلام النبلاء . مجموعة من المحققين، إشراف شعيب الأرناؤوط، ط٧، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م

ـ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار . تحقيق، بشار عواد معروف ورفاقه، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي (ت ٧٩٥هـ/١٣٩٢م) .

ـ الذيل على طبقات الحنابلة، بيروت، دار المعرفة، (د . ت) .

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن تمام (ت ٧٧١هـ/١٣٧٠م) .

ـ طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق، محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو، ط٢، بيروت، دار هجر ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) .

ـ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة . عني بنشره، أسعد طرابزوني الحسيني ١٣٩٩هـ — ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

السنجاري، علي بن تاج الدين بن تقي الدين (ت ١١٢٥هـ/١٧١٣م) .

ـ منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم . تحقيق، جميل بن عبد الله

المصري . ط١، مكة المكرمـــة، مركـــز إحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .

السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) .

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، (د، ت) .

ابن شاكر الكُتبي، محمد بن شاكر (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٧م) .

- فوات الوفيات . تحقيق، إحسان عباس، بيروت، دار صادر، (د . ت) .

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) .

- الوافي بالوفيات، تحقيق، أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .

ابن عبد المجيد، عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني (ت ٧٤٣هـ/١٣٤٢م) .

- إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين . تحقيق، عبد المجيد دياب . ط١، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد بن علي (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٩م) .

- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام . تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين . تحقيق، فؤاد سيد، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

ابن فرحون، إبراهيم بن علي (ت٧٩٩هـ/١٣٩٦م) .

- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق، محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، دار التراث، (د . ت) .

ابن الفوطي، عبد الرزاق بن أحمد البغدادي (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م)

ـ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق، مهدي النجم، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .

ابن فهد، النجم عمر بن فهد بن محمد المكي (ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م) .

ـ إتحاف الورى بأخبار أم القرى . تحقيق، فهيم محمد شلتوت، ط١، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م

ـ الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق، عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط١، بيروت، دار خضر ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .

الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٥م) .

ـ القاموس المحيط، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الدمشقي (ت٨٥١هـ/١٤٤٨م)

ـ طبقات الشافعية، تحقيق، عبد العليم خان، بيروت، دار الندوة الجديدة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

القرشي، عبد القادر بن محمد بن محمد (ت٧٧٥هـ/١٣٧٣م)

ـ الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق، عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

ابن مجاهد، أحمد بن موسى (ت ٣٢٤هـ/٩٣٥م) .

ـ السبعة في القراءات، تحقيق، شوقي ضيف . ط٢، القاهرة، دار المعارف ١٤٠٠هـ .

محب الدين الطبري، أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري المكي (ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م)

ـ القرى لقاصد أم القرى، تحيق، مصطفى السقا، ط٣، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٣هـ/١٩٩٣م .

المراكشي، محمد بن محمد بن عبد الملك (ت٧٠٣هـ/١٣٠٣م) .

ـ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق، إحسان عباس ومحمد بن شريفة، بيروت، دار الثقافة، المغرب، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، (سنوات مختلفة) .

المقدسي، أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م) .

ـ تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف بالذيل على الروضتين، تحقيق، عزت العطار الحسيني، ط٢، بيروت، دار الجيل ١٩٧٤م .

ـ كتاب الروضتين في أخبار الدولتين . بيروت، دار الجيل (د . ت) .

المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ)

ـ نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق، مريم قاسم طويل ويوسف قاسم طويل، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) .

ـ المقفى الكبير . تحقيق، محمد البعلاوي . ط١، دار الغرب، بيروت ١٤١١هـ/١٩٩١م

ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت، دار صادر، (د . ت) .

ابن الملقن، عمر بن علي بن أحمد الأندلسي (ت٨٠٤هـ/١٤٠١م) .

ـ العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، تحقيق، أيمن الأزهري وسيد مهنى، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م)

ـ التكملة لوفيات النقلة، تحقيق، بشار عواد معروف، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ/١٣١١م) .

- لسان العرب، تحقيق، نخبة من العاملين بدار المعارف، القاهرة، دار المعارف (د، ت) .

ابن نقطة، محمد بن عبد الغني الشهير بابن نقطة (ت٦٢٩هـ/١٣٣١م) .

- التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد . بيروت، دار الحديث ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م .

اليافعي، عبد الله بن أسعد بن علي (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م) .

- مرآة الجنان وعبر اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ط٢، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ١٣٩٠هـ .

اليونيني، موسى بن أحمد بن محمد البعلبكي (ت٧٢٦هـ/١٣٢٦م) .

- ذيل مرآة الزمان، ط١، حيدر آباد، الهند، دائرة المعارف العثمانية ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م .

***

ثانياً : المراجـــــع .

إبراهيم أنيس وآخرون

- المعجم الوسيط، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د . ت) .

إبراهيم القادري بوتشيش

- العلماء المجاورون بمكة، نموذج للملتقيات العلمية بمكة عاصمة الثقافة الإسلامية في العصر الوسيط . بحث قدم ضمن ندوة الحج الكبرى لعام ١٤٢٣هـ . وطبعت أبحاث الندوة بعنوان : مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية (بحوث ودراسات) – إعداد، أبو بكر أحمد باقادر، ط١، الرياض ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .

إبراهيم بن محمد المزيني

- رحلات المغاربة إلى المشرق الإسلامي في عصر الحروب الصليبية، ندوة بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر للميلاد "التاسع الهجري"، اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

إحسان إلهي ظهير

- التصوف : المنشأ والمصادر، ط١، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

إسماعيل باشا البغدادي

- هدية العارفين . دار العلوم الحديثة، بيروت، (د ، ت) .

إسماعيل بن علي الأكوع

- المدارس الإسلامية في اليمن، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، صنعاء، مكتبة الجيل الجديد ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

جاد الحق علي جاد الحق

- الفقه الإسلامي، نشأة مذاهبه – أهدافها – ثمراتها، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، الرياض، العدد الأول، السنة الأولى ١٤٠٩هـ .

حسن علي حسن

- دراسات في تاريخ المغرب العربي، القاهرة، مكتبة الشباب، (د ، ت) .

خير الدين الزركلي

- الأعلام، ط٦، بيروت، دار العلم للملايين ١٩٨٤م .

صالح يوسف معتوق

- علم الحديث في مكة المكرمة خلال العهد المملوكي، (رسالة دكتوراه) كلية

الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى ١٤٠٧هـ .

عبد الجبار ناجي وآخرون

- الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب ٢٠٠٣م.

عبد الرحمن علي الحجي

- التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دط٣، دمشق، دار القلم ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

عبد العزيز بن راشد السنيدي

- المدارس اليمنية في عصر الدولة الرسولية، ط١، الرياض ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .

عبد الله شيخ محفوظ بن بيِّه

- الفقه الإسلامي تعريفه وتطوره ومكانته، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، الرياض، العدد الأول، السنة الأولى، ١٤٠٩هـ .

عبد الله محمد الحبشي

- مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، بيروت، المكتبة العصرية ١٤٠٨هـ .

عمر رضا كحالة

- معجم المؤلفين، بيروت، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م .

فواز بن علي الدهاس

- المدارس في مكة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، ع٢، س١، ربيع الأول ١٤٢١هـ .

محمد بن إبراهيم أبا الخيل

- جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين،

ط١، بريدة، دار أصداء المجتمع ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .

محمد بن إبراهيم الحمد

ـ عقيدة أهل السنة والجماعة . مفهومها .. خصائصها .. خصائص أهلها، ط١، الرياض، دار الوطن ١٤١٦هـ .

محمد جمال القاسمي

ـ قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، تحقيق وتعليق، محمد بهجة البيطار، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د، ت) .

محمد الحبيب الهيلة

ـ التاريخ والمؤرخون في مكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر. ط١، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة ١٩٩٤م .

محمد سهيل طقوش

ـ تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة، ط١، بيروت، دار النفائس ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .

محمد العبده وطارق عبد الحليم

ـ الصوفية : نشأتها وتطورها، ط٢، مكتبة الكوثر، الرياض ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

محمد بن عبد العظيم الزرقاني

ـ مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

محمد عبد اللطيف الفرفور

ـ أدب الإجازات عند علماء المسلمين ، مجلة الفيصل، عدد (٧٩) ١٤١٤هـ .

محمد علي مسفر عسيري

ـ الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي، ط١، جدة، دار المدني ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

نوال طلال الشريف

ـ الحياة العلمية في بلاد الحجاز وعلاقتها بمصر في القرنين السادس والسابع الهجريين، " رسالة دكتوراه " الرئاسة العامة لتعليم البنات، كلية التربية للبنات بجدة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .